عمارة المسجد

فى ضوء القرآن والسنة

دكتــور

نوبى محمد حسن

المدرس بقسم العمارة – كلية الهندسة

جامعة أسيوط



الكتـــــــــــاب : **عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة**

المؤلـــــــــــف : د. نوبي محمد حسن

رقـــم الطبعــــة : الطبعة الأولى

تاريـــخ الإصــــدار : يناير ٢٠٠٢

حقوق الطبع والنشر : محفوظة للناشر

الناشــــــــــــر : دار نهضة الشرق

العنــــــــــوان : ٣٢ شارع طلعت حرب – القاهرة

تليفــــــــــون : ٥٧٩٥٩٦٠ – ٥٧٥٨٣٨٤

فاكـــــــــــس : ٥٧٩٥٩٨٠

رقـــم الإيـــداع : ١٧٤٨٤

الترقيـــم الدولـــــي : I.S.B.N. 977-245-172-7

(فى بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم اللّه أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله واللّه يرزق من يشاء بغير حساب)

(النور: ٣٦ – ٣٨)

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أفضل مبعوث للعالمين وأول مشفع في يوم العرض والدين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد.

تعد عمارة المساجد من أبرز فروع العمارة الإسلامية التي تأثرت بالجانب الروحي والحسي للإسلام، إذ أن التكوين المعماري البسيط للمسجد مع خلوه من التكوينات المعقدة والفنون المصطنعة والزخارف والنقوش المصورة قد جسد المعاني الروحية والتعاليم الشرعية للدين الإسلامي، كما وضع تكوين المسجد وفراغاته المبادئ الأساسية لانطلاق الفن الإسلامي.

ومن البُدهي أن يكون المسجد هو مولد هذا الفن الجديد، فبتكوينه البسيط وتكامل فراغاته وقوة ارتباط المجتمع الإسلامي به، أصبح المسجد هو نواة التخطيط في جميع العصور التي مرت بها المدينة الإسلامية[1]، ومنبعاً للتراث المعماري الإسلامي، وذلك لعدم وجود عمارة إسلامية من قبله على الإطلاق[2]، فأول مبنى إسلامي هو مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والذي منه استمدت أصول عمارة المساجد وعمارة المباني الأخرى، قال تعالى: "**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم**

[1] عبد العزيز بن سعد بن حمد المفرن، "الاعتبارات الإنسانية في تصميم المساجد"، ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، الرياض، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩هـ. ص٣٣

[2] محمد ماجد خلوصي، "المسجد: عمارة وطراز وتاريخ"، القاهرة، ١٩٩٨م. ص٢١

الآخر وذكر الله كثيراً"[1]، كما قال سبحانه وتعالى: " **.. وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**"[2].

وتختلف المساجد عن سائر المباني والمنشئات الأخرى ليس فى التكوين وعملية التخطيط والتصميم التي ترتبط بالوظيفة فحسب؛ بل لأن إنشاء المساجد وإقامتها يشمل جوانب روحية وحسية وحتى مادية واجتماعية تربط بين الإنسان وخالقه. ويكفى للتدليل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: "**فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**"[3].

يقول الإمام سيد قطب (رحمه الله) في تفسير هذه الأيات، بيوت الله التي تتصل فيها القلوب بالله، تتطلع إليه وتذكره وتخشاه، وتتجرد له وتؤثره على كل مغريات الحياة، تلك البيوت "إذن الله أن ترفع" ..... فهي مرفوعة قائمة، وهى مطهرة رفيعة، يتناسق مشهدها المرفوع مع النور المتألق في السماوات والأرض، وتتناسق طبيعتها الرفيعة مع طبيعة النور السني الوضئ، وتتهيأ بالرفعة والارتفاع لأن يذكر فيها اسم الله .. وتتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة، المسبّحة الواجفة، المصلية الواهبة .. ورجاؤهم لن يخيب في فضل الله، في مقابل ذلك النور المتجلي في السماوات والأرض، المتبلور في بيوت الله، المشرق في قلوب أهل الإيمان[4].

---

[1] سورة الأحزاب: ٢١

[2] سورة الشورى: ٥٢

[3] سورة النور: ٣٦-٣٨

[4] سيد قطب، "في ظلال القرآن" الطبعة الحادية والعشرون ، الجزء الرابع، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤هـ. ص٢٥٢٠، ٢٥٢١

وإذا كان الإنسان منا عندما يقوم ببناء مسكن له فإن غايته تتجلى في أن يختار له أفضل المواقع، وأفضل المهندسين المعماريين والبناءين، وأفضل التصميمات، وأفضل المواد، ويراعي فيه كل المتطلبات الروحية والنفسية والاجتماعية العاجلة والآجلة، التي من شأنها أن تحقق له حياة كريمة ميسرة ومريحة، واستخدام آمن يشمل النواحي الوظيفية والتشكيلية والإنشائية والنفسية والاجتماعية، فإن المساجد أولى بكل ذلك وأكثر لأنها بيوت الله.

وفي عمارة المساجد – ومع التسليم بأن الفن المعماري بشكل عام يتأثر بكل الظروف العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والسياسية وغيرها، كما أنه يتميز بأنه فن يعتمد على فكر إبداعي مطلق ومتجدد – فإنه تبرز مجموعة من التساؤلات على جانب كبير من الأهمية وتشكل الإجابة عليها المحتوى المعرفي لهذا الكتاب، وهذه الأسئلة هي: هل تقتصر عمارة المسجد على الجوانب البنائية فقط؟ أم أن لها جوانب أخرى روحية واجتماعية؟ وهل تخضع عمارة المساجد للفكر الإبداعي المعماري المنطلق إلى حدود غير معروفة وغير مدركة وغير متحكم فيها، أما أنها تخضع لضوابط وقيود محددة؟ وما هي مصادر هذه القيود؟ وما مدى الالتزام بها؟ ثم ماذا عن دور المسجد وما يمكن أن يقدمه من خلال المجتمع، في مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في عصر العولمة وثورة المعلومات والوسائط التفاعلية؟

من أجل ذلك كان هذا الكتاب، والذي حاولت فيه بقدر المستطاع الإجابة على هذه التساؤلات الرئيسة وما ينبثق عنها من تساؤلات أخرى في محاولة لبيان عمارة المسجد المعنوية والمادية والاجتماعية في ضوء القرآن والسنة، لكي تعم الفائدة والنفع على جميع المتعاملين مع المسجد عبادة وبناءً وعمارة؛ سواء قائمون بالعمارة الروحية من خلال العبادات المختلفة، أو قائمون بعملية البناء، أو متصلون به من خلال مركزه ودوره في المجتمع الإسلامي. هذا من جانب ومن جانب آخر فإننا نأمل في أن يكون في ذلك ما يمكن الرد به على الذين يدّعون عن جحود

ونكران بأن العمارة الإسلامية وعناصرها المختلفة لم تنبع من الدين الإسلامي!!

وكان ولابد من أن يشمل هذا الكتاب تمهيداً لعمارة المساجد يبين بعض الجوانب الأولية في المسجد وعمارته، ثم تلا ذلك أربعة فصول؛ تناول الأول منها العمارة المعنوية للمسجد، بينما اشتمل الثاني على العمارة البنائية (المادية)، واحتوى الثالث على العمارة الاجتماعية للمسجد، وقدم الفصل الرابع إطاراً عاماً لأطروحة حول عمارة المسجد في العصر الحالي.

وبالاستعانة بالله جل وعَلا على مشاق الطريق كانت هذه الرحلة الروحية والحسية والنفسية الممتعة في رحاب المسجد، كان زادي فيها ما جاء في كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) فيما روى من الأحاديث النبوية التي ترتبط بعمارة المساجد، وما أجازه الصحابة (رضوان الله عليهم)، وما أفتى به السلف الصالح (رحمهم الله تعالى)، وما كانت عليه عمارة المساجد في العصور الأولى، أضف إلى ذلك حبي للمساجد وتشوقي إليها وإيماني بدورها الكبير على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، مع تخصصي المهني في مجال الهندسة المعمارية تصميماً وتنفيذاً وهو مجال يرتبط بعمارة المساجد ارتباطاً وثيقاً.

وفي نهاية هذا التقديم، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يعيد للمسجد مكانته العظيمة ودوره الرائد .. إنه جل وعَلا ولي ذلك والقادر عليه.

والله الموفق والهادي إلى صراط المستقيم.

د/ نوبي محمد حسن

أسيوط: رمضان ١٤٢٢هـ

تمهيد

المدخل إلى دراسة عمارة المسجد

ماهية المسجد

المسجد في الأصل اللغوي، من سجد يسجد سجودا إذا وضع جبهته على الأرض[1]. موضع السجود، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث: "**جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**"[2]. ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة، قرب العبد من ربه، اشتق منه اسم المكان للموضع الذي بني للصلاة فيه، فقيل مسجد، ولم يقال "مركع" مثلا أو غيره مما يشتق من أفعال الصلاة[3]. أما تسميته جامع فلأن صلاة الجماعة والجمعة قد ألزمت بالإقامة فيه.

أما في الاصطلاح الشرعي، فيطلقه البعض على كل موضع من الأرض، انطلاقا من الحديث السابق، وهذا صحيح بالنظر إلى جواز الصلاة والعبادة فيه، ولكن بالنظر إلى ما اصطلح عليه اسم "مسجد"، وأخذ أحكاما خاصة، فلا يبق هذا المفهوم دقيقا. ويمكن أن يعرف المسجد بأنه بقعة من الأرض، مخصصة لأداء العبادة فيه، متحررة من التملك الشخصي، وعلى هذا فيكون المسجد بقعة من الأرض ليست ملكا لأحد، وتؤدى فيه مهمات عبادية ودعوية وتربوية وغيرها[4]. وقال

---

[1] محمد بن على العرفج، "المشروع والممنوع في المسجد"، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ. ص٥

[2] روى الحديث: البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

[3] محمد بن على العرفج، مرجع سابق. ص٦

[4] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٦

القرطبي: هذا ما خص الله به نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وكان الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلاة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس[1].

ولقد اتفق على أن يسمى كل مكان يخصص للعبادة مسجداً، وإن كانت الأرض كلها مسجداً وطهوراً لأمة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، إلا أن هناك أرضا تخصص للصلاة فقط وأرض تصلح لحركة الحياة. يذكر "الشعراوي" (رحمه الله) أن المصنع فيه حركة الحياة، ولكن عندما يحين وقت الصلاة فإنه يباح للعامل أن يصلي فيه، وكذلك المزارع في مزرعته والموظف في مكان عمله، .. وهكذا، ولكن إذا كان المكان مسجداً فإنه يصبح مقصوراً على الصلاة فقط، ولا ينبغي للإنسان أن يشغل نفسه فيه بأمور الدنيا[2]. ولذا نجد أنه من الممنوع شرعاً في المسجد نشد الضالة فيه، فقد روى مسلم وغيره، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: **"من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا"**[3]. كذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم): **"إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك"**[4].

أنواع المساجد:

يمكن تقسيم المساجد من ناحية حجمها واتساعها على أساس تخطيطي، إلى ثلاثة أنواع[5]:

---

[1] محمد بن على العرفج، مرجع سابق. ص٦

[2] عبد العزيز بن سعد بن حمد المقرن، مرجع سابق. ص٣٢

[3] روى الحديث: مسلم، كتاب المساجد، باب النهى عن نشد الضالة في المسجد.

[4] روى الحديث: الترمذي في كتاب البيوع.

[5] أحمد كمال عبد الفتاح، "الثوابت والمتغيرات في تصميم وتخطيط المسجد"، المجلة المعمارية، السنة الأولى، العدد ٢، جمعية المهندسين المعماريين، القاهرة، ١٩٨٢م. ص١٦

١- **مصلى أو زاوية:** ويتسع لأربعين مصليا على الأقل، ويستخدم لتأدية صلاة الجماعة في أوقاتها الخمس للمسلمين الموجودين في مؤسسة أو مصنع أو مدرسة .. الخ، أو لخدمة سكان الحارة الإسلامية، أو المجموعة السكنية، أو قرية صغيرة.

٢- **المسجد:** وهو لخدمة حي بأكمله، ويتوقف حجمه واتساعه على عدد سكان الحى الذي يخدمه، ويمكن أن تتم فيه صلاة الجمعة، وله إمام ومؤذن، وتتوفر فيه أو ترتبط به مجموعة من الخدمات العامة المختلفة، لتجعل منه مركز إشعاع علمي وديني وثقافي للحي، ويتعدد المسجد بتعدد الأحياء. وقد كانت تسمى "مساجد الفروض الخمسة"، وكان عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) هو أول من أمر ببنائها، فقد كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، كما كتب إلى سعد ابن أبي وقاص وهو على الكوفة، وإلى عمر بن العاص وهو على مصر، فانتشرت مساجد الفروض الخمسة بجانب المساجد الجامعة[١].

٣- **الجامع:** وهو من أهم المنشئات العامة في المدينة الإسلامية لما له من دور أساسي في حياة مجتمعها، فبجانب وظيفته الدينية كان مركزاً لبحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية والاجتماعية[٢]. وقد كان لكل مدينة جامع واحد يقع في مركزها، ومرتبط بالسوق الخاص بها، وكان من الضخامة بحيث يتسع لكل الناس المكلفين بصلاة الجمعة، فجامع سامرا على سبيل المثال مساحته حوالي ٢١ فدانا ويتسع لحوالي ٩٠ ألف مصلى، وجامع ابن طولون ومساحته بالزيادة حوالي ١٤ فدانا ويتسع لحوالي ٥٨ ألف مصلى. وعندما

---

[١] محمد عبد الستار عثمان، "نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٠م. ص٣٥

[٢] محمد عبد الستار عثمان، "المدينة الإسلامية"، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م. ص٢٣٤

تضخمت المدن وسارت مترامية الأطراف كان ولابد أن يتعدد الجامع في المدينة الواحدة، ومن المعايير التخطيطية التي يعمل بها أنه يجب أن يخدم الجامع الواحد ٤٠,٠٠٠ نسمة.

هذه الأنواع من المساجد هي التى تنطبق عليها أحكام المسجد بشكل واضح وصريح، بخلاف المصليات وهى مصلى البيت ومصلى العيد ومصلى الجنائز، فقد اختلف العلماء (رحمهم الله) في حكم هذه المصليات على قولين: القول الأول: أن هذه المصليات لا تأخذ حكم المسجد أوقفت أو لم توقف، وبه قال جمهور العلماء، والقول الثاني: أن هذه المصليات لا تأخذ حكم المساجد إلا إذا أوقفت، فإذا جعلها صاحبها وقفا صارت مسجداً تأخذ حكم المسجد وبه قال عياض والدرامي[١]. وتأخذ هذه المصليات أحكام المساجد في تواصل الصفوف، والاقتداء بالإمام، وطهارة أرضها، لأنها أعدت لصلاة العيدين والاستسقاء وهي تصلى في جماعة[٢].

أهمية المسجد

للمسجد مكانة عظمى وأهمية بالغة الأثر، فهو مكان لا غنى للمسلمين عنه، فهو محل أداء شعائرهم التعبدية من الصلاة والاعتكاف، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى، وهو منطلق الهداية والتوجيه، وميدان العلم والتعليم، وينبوع العلم والمعرفة، ومنبت التربية والتثقيف، وهو النور المشع في قلوب المؤمنين، وهو ميدان تخريج العلماء والأبطال والقادة والمفكرين، وهو ساحة التقاء المسلم بأخيه المسلم على منهج الله تعالى، بل إن الوظائف الكبرى للمسجد تدل على أهميته وعظم منزلته،

[١] إبراهيم بن صالح الخضيري، "أحكام بناء المساجد في الشريعة الإسلامية"، ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، الرياض، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩هـ. ص٥٥،٥٦

[٢] إبراهيم بن صالح الخضيري، مرجع سابق. ص٥٦

ولذلك فضل الله المساجد، ورغب في عمارتها، وجعل الأجر الجزيل على بنائها – حسياً ومعنوياً – وأشاد بعمّارها والمهتمين فيها[1]. يقول الله تبارك وتعالى: **"في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب"[[2]].**

والمسجد هو أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام، وهو يحمل خاصية أساسية بالنسبة للمجتمع المسلم، وهو مصدر الانطلاقة الأولى لدعوة الإسلام ونبع الهداية الربانية، فعلى سمائه ترتفع الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، وعلى منبره يُعلم الإيمان، وعلى أرضه الطاهرة يُؤدى العمل الصالح ثمرة الإيمان، وهو المرتكز الذي تدور حوله قاعدة الجهاد الكبرى، والمحور الذي تلتف حوله الأفكار والعواطف، والمحضن الذي يربي الصفوة والرواد الذين يحملون مشاعل النور والهداية ويطوفون البلاد يحملون صفة المسجد ورائحته وطهره[[3]].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وكانت المساجد مجامع الأمة ومواضع الأئمة. وقد أسس (صلى الله عليه وسلم) مسجده المبارك على التقوى، فكانت فيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون كلما حز بهم أمر من أمور دينهم ودنياهم"[[4]].

[[1]] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٧

[[2]] سورة النور: ٣٦-٣٨

[[3]] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمسجد"، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ. ص١٠

[[4]] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمسجد"، مرجع سابق. ص١١

ولأهمية المساجد فقد نسبها الله جل وعلا إلى نفسه، وذكرها في ثمان وعشرين آية من كتابه الكريم[1]، فقال سبحانه: "**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**"[2]. وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**"[3]. والمساجد بيوت الله في الأرض، وزوارها عمارها، فعن سلمان (رضى الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر**"[4].

حكم بناء المساجد

اختلف العلماء في حكم بناء المساجد على قولين: القول الأول: يرى أن بنائها مندوب أو من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، والقول الثاني: يذهب إلى أنها من نوع البناء الواجب. والمسألة - والله أعلم - فيها نظر، ففي حين يكون بناء المسجد مندوبا في حق فرد أو قوم يكون واجبا في حق آخرين، كأن يوجد قوم ليس لهم مسجد يقومون فيه الجمعة والجماعة فيأتي شخص أو قوم من خارجهم فيبنون لهم ذلك المسجد، فيكون بناء أولئك القوم مندوبا في حين أنه واجب في حق أصحاب المحلة. وهناك في الجانب الآخر مساجد قد يكون بناؤها من الأمور المندوبة كتلك التي يكون فيها توسعة على المسلمين ورفع

---

[1] محمد بن على العرفج، مرجع سابق. ص٦
[2] سورة الجن: ١٨
[3] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمسجد"، مرجع سابق. ص٨
[4] روى الحديث: الطبراني في الكبير.

للحرج عنهم كضيق أو بعد أو نحوه، وفي هذا جمع بين القولين والله أعلم[1].

فضل عمارة المساجد

جعل الله سبحانه وتعالى عمارة المساجد من أوضح الأدلة على الإيمان فقال تعالى: "**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**"[2].

يقول الإمام سيد قطب (رحمه الله) في تفسير هاتين الآيتين: "فهو أمر مستنكر منذ الابتداء، ليس له مبرر لأنه مخالف لطبائع الأشياء. إن بيوت الله خالصة لله، لا يذكر فيها إلا اسمه، ولا يدعى معه أحد غيره، فكيف يعمرها من لا يعمر التوحيد قلوبهم، ومن يدعون مع الله شركاء، ومن يشهدون على أنفسهم بالكفر شهادة الواقع الذي لا يملكون إنكاره، ولا يسعهم إلا إقراره؟ فهي باطلة أصلاً، ومنها عمارة بيت الله التي لا تقوم إلا على قاعدة من توحيد الله .. إن العبادة تعبير عن العقيدة، فإذا لم تصح العقيدة لم تصح العبادة، وأداء الشعائر وعمارة المساجد ليست بشيء ما لم تعمر القلوب بالاعتقاد الإيماني الصحيح، وبالعمل الواقع الصريح، وبالتجرد لله في العمل والعبادة على السواء، والنص على خشية الله وحده دون سواه بعد شرطي الإيمان الباطن والعمل الظاهر لا يجئ نافلة. فلابد من التجرد لله، ولابد من التخلص من كل ظل للشرك

[1] منصور بن عبد العزيز الجديد، "المسجد في الإسلام، حدوده وتاريخه: أبرز الضوابط المتعلقة بعمارته"، ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، الرياض، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩هـ.. ص٩٨

[2] سورة التوبة: ١٧-١٨

في الشعور أو السلوك، وخشية أحد غير الله لون من الشرك الخفي ينبه النص قصدا في هذا الموضع ليكون الاعتقاد والعمل كله لله. وعندئذ يستحق المؤمنون أن يعمروا مساجد الله، ويستحقوا أن يرجوا الهداية من الله .. هذه هي القاعدة في استحقاق عمارة بيوت الله، وفي تقويم العبادات والشعائر على السواء يبينها الله للمسلمين والمشركين"[1].

كما قال المفسرون في تفسير آية "**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**"[2]، " اعلم أن عمارة المساجد تعم أنواعها؛ منها بناؤها ورمها أي إصلاح ما انهدم منها، ومنها قمها أي كنسها وتنظيفها، ومنها تزيينها بالفرش ونحوه، ومنها تعليق القناديل بها وسرجها فيها، ومنها احترامها وصيانتها عن القاذورات ونحوها مم لم تبن له كالكلام الدنيوي، ومنها لزومها وكثرة إتيانها" [3].

وعمارة المساجد إما معنوية أو مادية بالبناء أو اجتماعية بوصف المسجد قلب للمجتمع الإسلامي وذو دور ووظيفة مؤثرة في بناء شخصية الفرد والأسرة والمجتمع والأمة.

وفيما يتعلق بعمارة المساجد المعنوية كالصلاة فيها فتتفاوت المساجد في فضل الصلاة فيها ومضاعفتها كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): "**صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وصلاة في مسجدي بألف صلاة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة**"[4]، وعلى كل حال فإن التفاضل بين عموم المساجد عدا الثلاثة يتفاوت حسب القرب والبعد وكثرة

---

[1] سيد قطب، "في ظلال القرآن" الطبعة الحادية والعشرون ، الجزء الثالث، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤هـ. ص١٦١٣،١٦١٤

[2] سورة التوبة: ١٨

[3] محمد عبد الستار عثمان، "نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة"، مرجع سابق. ص٢١

[4] روى الحديث: الطبراني.

الجماعة وقلتها إلى غير ذلك[1]. فقد روي عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن أعظم الناس في الصلاة أجرا أبعدهم إليها ممشى"[2].

وقد حفلت السنة بالكثير من الأحاديث التي تبين فضل المساجد وفضل بنائها، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: "من بنى لله مسجدا بنى الله له كهيئته في الجنة"[3]. وعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "من بنى مسجدا صغيرا أو كبير بنى الله له بيتا في الجنة"[4]. وعند ابن ماجة وأحمد مرفوعا: "من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة"[5]. وبرواية أخرى حديث جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "من بنى مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة"[6]. قال الزركشي (رحمه الله): وتأمل كيف خص القطاة بالذكر دون غيرها، لأن العرب يضربون بها الأمثال في الصدق، ففيه رمز خفي إلى المحافظة على الإخلاص في بنائه والصدق في إنشائه[7].

ومن مظاهر اهتمام القرآن الكريم بالمساجد، نجد أنه توعد أعداء المساجد وهم من الظلمة الذين يسعون في خرابها، ويمنعون ذكر الله فيها بالصلاة وغيرها من الأمور المشروعة، ولقد توعدهم سبحانه

---

[1] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص٩٨

[2] رواه مسلم (السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، الطبعة ١٠، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٣م. ص١٧١).

[3] روى الحديث: البخاري كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدا.

[4] روى الحديث: الترمذي.

[5] روى الحديث: ابن ماجة في المساجد، باب من بنى لله مسجدا.

[6] روى الحديث: ابن ماجة في كتاب المساجد والجماعات.

[7] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص٩٧

وتعالى بالخزي والهوان في الدنيا وبأشـد ألـوان العـذاب فـي الآخـرة[1]، قـال تعـالى: "**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**"[2].

مشروعية الوقف على عمارة المساجد

قـال تعـالى: "**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فإن الله به عليم**"[3]، فـإن أبـا طلحـة (رضـي الله عنه) لما سمع هذه الآية بادر إلى وقف أحـب أموالـه إليـه وهـي بيرحـاء (حديقة مشهورة)[4]. وقد احتج علـى الوقـف بحديـث عـن أبـي هريـرة (رضي الله عنه) قال، قال رسول الله (صلـى الله عليـه وسـلم): "**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**"[5]، والصدقـة الجاريـة محمولـة عنـد العلمـاء علـى الوقف، ولذلك قال النووي في شرح هذا الحديث: فيـه دليـل لصحـة أصـل الوقف وعظيم ثوابه .. والصدقة الجارية هـي الوقـف[6].

والوقف على المساجد (أو أوقاف المسجد) هـي الأوقـاف التـي وقفت على المساجد، واشترط محبسوها أن يصـرف ريعـها وغلتـها فـي عمـارة المساجد وصيانتـها، وهـذا يعـد مـن أهـم عمـارة المسـجد علـى مـر العصـور[7].

[1] المعهد العربي لإنمـاء المـدن، "المسـاجد فـي المـدن العربيـة: توطئـة لموسـوعة المساجد"، المعهد العربي لإنمـاء المـدن، الريـاض، ١٩٩٠م. ص٣٣
[2] سورة البقرة: ١٤٤
[3] سورة آل عمران: ٩٢
[4] محمد بن على العرفج، مرجـع سـابق. ص٢١
[5] روى الحديث مسـلم.
[6] محمد بن على العرفج، مرجـع سـابق. ص٢١
[7] محمد بن على العرفج، مرجـع سـابق. ص٢٤

ويبتدأ الحديث عن الوقف ودوره في إنشاء المساجد منذ بناء مسجد قباء، الذي بناه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فور وصوله المدينة عند هجرته من مكة، حيث اعتبر الوقف أهم مصدر من مصادر بناء المساجد في البلاد الإسلامية، وأن مجرد تطواف بسيط في المساجد الموجودة في العالم الإسلامي اليوم ليدل دلالة واضحة على أثر هذه المؤسسة الوقفية في عملية إنشاء المساجد ورعايتها، وأنه يمكن القول: بأنه لا توجد مدينة إسلامية إلا وبها من أموال الوقف ما هو مخصص لرعاية المساجد وإنشائها والقيام بشؤونها[1].

وفي الإسلام اعتبر تحبيس المساجد والقناطر والطرق والمقابر مشروعا باتفاق العلماء، وحكمه الصحة واللزوم للمحبس[2].

وقد كون التوجه الإسلامي للوقف حافزا لبناء المساجد وتشييدها وتحبيسها، رغبة في الأجر الأخروي، والثواب الذي لا ينقطع بعد الموت، وهناك من أفتى بأن الصدقة على المسجد يحصل بها النفع للميت. وهذا ما يمكن أن نلاحظه في وثيقة وقف مسجد ومدرسة السلطان حسن بالقاهرة حيث جاء فيها: "الزاد ما ادخر الإنسان ليوم المعاد وقدمه بين يدي خالقه عند قيام الأشهاد، وأقرض الله قرضه الحسن، ففاز بنيل المراد - الصدقة التي يرجو بها المتصدق الأجر والثواب .. وتكون له طريقا موصلة إلى دار النعيم، دافعة عنه ما يخشاه من عذاب الجحيم، لقوله صلى الله عليه وسلم اتق النار ولو بشق تمرة .. سيما صدقة الأوقاف التي هي أنفس الصدقات وأسناها، وأرفعها قدرا عند الله وأعلاها، ولاستمرار تسطيرها في الصحاف الحسان .. فهي الصدقة الجارية والذخيرة الباقية وقد بدأ صلى الله عليه وسلم بذكرها، فقال إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم نافع

---

[1] عبد الستار إبراهيم رحيم الهيتي، "الوقف ودوره في التنمية"، مركز البحوث والدراسات، قطر، ١٩٩٧م.

[2] محمد بن عبد الهادي أو الأجفان، "من أحكام عمارة المسجد"، مجلة عالم البناء، العدد ٨٥، القاهرة، نوفمبر ١٩٨٧م. ص٣٥

أو ولد صالح يدعو له وقال صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه في صحيح السنة مقال أخبر فيه بعظم المنة "من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة"[1].

وقد حدد الفقهاء أحكام تحبيس المباني لتكون مساجد، وأحكام الوقف عليها، ليستمر انتفاع المصلين بها، وذكروا أن تحبيسها لا يتم إلا بقول أو بفعل عن قصد المحبس، وإخراج المبنى عن ملكه ليكون لله، ويجري نفعه لعامة المسلمين. قال أبو الطاهر بن بشير المهدوي (٥٢٦ هـ): "من بنى مسجدا فلا يخرج عن ملكه بنفس البناء، إلا أن يظهر منه قول أو فعل يدل أنه قصد إخراجه عن ملكه وتحبيسه، ومن الفعل: أن يخلي بين الناس وبينه"[2].

إن الأصل في نظام الأوقاف هو ارتباطه بدور العبادة للصرف عليها والقيام بإدارتها ورعاية القائمين على أمر الشعائر فيها. ومن خلال تتبع أعمال ولاة الأمور والحكام في الدولة الإسلامية نجد أنهم أكثروا من إنشاء المؤسسات الدينية بصفة عامة والمساجد بصفة خاصة، لتقوية رباط الدين الذي يعتبرونه من أقدس الواجبات وأهمها، التي يجب أن تقوم بها الدولة، وقد عمل الولاة والأمراء في التاريخ الإسلامي على تقديم الأوقاف لهذه المساجد، رعاية لشؤونها وإعلاء لشأنها داخل المجتمع الإسلامي وبفضل الأموال الكبيرة التي أصبحت بحوزة المؤسسة الوقفية الإسلامية على مدى تاريخها الطويل؛ فقد أنشئ في البلاد الإسلامية الكثير من المساجد التي تقام بها الصلوات الخمس، وهي كما يقول القلقشندي أنها: (أكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى) [3].

[1] محمد عبد الستار عثمان، "نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة"، مرجع سابق. ص١٠٥،١٠٦

[2] محمد بن عبد الهادي أو الأجفان، مرجع سابق. ص٣٥

[3] عبد الستار إبراهيم رحيم الهيتي، مرجع سابق.

وتؤكد المصادر التاريخية ارتباط إنشاء المساجد بالأوقاف بوصفها صدقة جارية، فضلا عن ارتباطها بالشعور الديني العام، حتى إنه متى ما تم بناء المسجد أو إنشاؤه احتفل بانتهاء عمارته احتفالا كبيرا، وأكبر مثال على ذلك ما ذكره المقريزي عند انتهاء عمارة الجامع الجديد الناصري بساحل مصر، أنه تم إقامة احتفال كبير بالمناسبة ووضع له خطيبا، وأجرى له راتبا محددا، ووقف له قيسارية العنبر، وهو سوق خاص لبيع العنبر وشرائه[1].

والجدير بالذكر أن مؤسسة الوقف لم يقتصر دورها على المسجد الواحد الذي يتم الوقف عليه، وإنما تعداه إلى تقديم خدمات جمة لولاها لما أدى المسجد رسالته المنشودة في الحضارة الإسلامية، ولعل من أبرز الأمور التي قدمتها هذه المؤسسة الوقفية في مجال المساجد ما يلي[2]:

١- عملت هذه المؤسسة على زيادة انتشار المساجد في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال بلغ عدد مساجد دمشق نحو ألف وخمسمائة مسجد في القرن الثالث الهجري، وكان هناك أكثر من ثمانين جامعا في مصر بالإضافة إلى المساجد التي يفوق عددها هذا العدد بكثير.

٢- قدمت هذه المؤسسة التمويل اللازم للمساجد من أجل القيام بكثير من النشاطات في مجال الدعوة إلى الله والتعليم وتوفير ما تحتاجه من أثاث وفرش ومصاحف وكتب وغيرها، بالإضافة إلى المكافآت والتخصيصات المالية والرواتب التي كانت تدفع للعلماء والفقهاء والقراء وطلاب العلم وغيرهم ممن يقومون بملازمة المساجد والاهتمام بها وخدمتها.

---

[1] عبد الستار إبراهيم رحيم الهيتي، مرجع سابق.
[2] عبد الستار إبراهيم رحيم الهيتي، مرجع سابق.

الفصل الأول

عمارة المسجد المعنوية

إذا كانت المنشئات بشكل عام تبنى من أجل أغراض نفعية، فإنه من الثابت أن لها وظائف أخرى حسية وروحية، فإن كان يقال إن العمارة فن نفعي، ذلك لأنه له وظائف نفعية بجانب التعبيرية، إلا إن المساجد تتفوق على ذلك؛ لأن الوظائف التي تؤديها تختلف بشكل جذري عن تلك التي تؤديها باقي المباني، فعلى سبيل المثال إذا كان المسكن يحتوى على أنشطة حياتية تربط بين أفراد الأسرة بعضهم البعض، وإذا كان المبنى الإداري يحتوى على أنشطة تتحكم فيها العلاقة بين قطاعات الإدارة المختلفة، فإن المساجد تحتوى على أنشطة تدور فى إطار العلاقة بين العبد وخالقه، ويالها من علاقة تلك التي تؤدى بأفعال ظاهرة ويتحكم في جدواها الجانب الخفي في الإنسان الذي لا يعلمه سوى الله.

ويتناول هذا الفصل محوريين مهمين من محاور عمارة المسجد المعنوية، وهما الجانب الروحي والجانب الحسي. فإن كان من الأمور المسلم بها أن للإنسان روح وحس، فلابد وأن تنسجم العمارة مع روحه وحسه. والإنسان المسلم في علاقته بالمسجد وبالوظائف التي تؤدى بداخله إنما يستمد المردود الخاص بالمبنى في ضوء طبيعة هذه العلاقة من خلال الإطار الشرعي والإسلامي لها.

المبحث الأول: عمارة المسجد الروحية

تشمل عمارة المسجد الروحية كل ما يرتبط بالمسجد من جوانب روحية تغذي روح الإنسان، وهي الأمور التي ثبت عن النبي (صلى الله

عليه وسلم) فعلها وإقرارها في المسجد، ومنها الصلاة وتلاوة القرآن والذكر[1] والاعتكاف والرباط في المسجد.

الصلاة في المسجد

بلغت أهمية الصلاة أن الله سبحانه وتعالى قد فرضها على رسوله (صلى الله عليه وسلم) مباشرة دون واسطة حيث عرج به (صلى الله عليه وسلم)، كما بلغت درجة الاهتمام بها حدا جعل فرضيتها لا تسقط عن المسلم على أي حال كان مادام يعي ويعقل فهو يؤديها قائما فإن لم يستطع فجالسا فإن لم يستطع فعلى جنب فإن لم يستطع أومأ إيماء، وبلغ اهتمام الإسلام بها أن أقام التيمم لها مقام الوضوء بالماء في حالة فقده، والقيام لها في أي مكان تتوفر فيه شروط الطهارة، كما بلغ هذا الاهتمام بها درجة عالية حين لم يسقطها عن المسلمين حتى في أحلك الظروف وأشد المواقف وهو موقف الحرب فشرع لهم صلاة الخوف ونزل القرآن الكريم يبينها ويوضح طريقة أدائها، قال تعالى: "**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا**"[2].

[1] عبد العزيز عبد الله الحميدي، "عمارة المساجد المعنوية وفضلها"، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ. ص٦

[2] سورة النساء: ١٠٢

هذه الأهمية البالغة للصلاة هي التي أكسبت المسجد أهميته باعتباره المكان الذي تؤدى فيه تلك الفريضة العظيمة، وذلك الركن الركين من أركان الإسلام[1].

وإذا كان الساعي إلى المسجد لأداء الصلاة ينال أجرا عظيما، فكيف بالصلاة فيه، روى الشيخان أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "من غدا أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح"[2]. وما رواه مسلم مرفوعا: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"[3].

ومن الأحاديث التي تحض وتشجع على ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة"[4].

والخشوع هو روح الصلاة وجوهرها، قال تعالى: "**قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون**"[5]، ولذا فقد جعل الله الخشوع أول صفة من صفات المؤمنين الذين حكم لهم بالفلاح في الدنيا. والخشوع هو سكون القلب وخضوعه وتذلله لله عز وجل. وقال

---

[1] سعود بن سعد بن محمد آل رشود، "ندوة العدد: فضل عمارة المساجد وأثرها في المجتمع"، مجلة التوعية الإسلامية، العدد ٢١٧، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ. ص٣١

[2] روى الحديث: البخاري في الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح.

[3] روى الحديث: مسلم، كتاب الطهارة.

[4] روى الحديث: البخاري في الأذان.

[5] سورة المؤمنون: ١-٢

ابن جرير في معنى الآية: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه، وتركه ما أمر بتركه[1].

ولأن جو المسجد يتسم بالهدوء والسكنية وهو ما لا يتوفر بنفس الكيفية في البيوت لما فيها من ملهيات ومشغلات، فكانت المساجد وفرض الجماعة فيها، من الأسباب التي تجلب الخشوع للمصلي في الصلاة[2].

الرباط في المسجد

جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحث على انتظار الصلاة بعد الصلاة في المسجد، وسمى ذلك رباطا، كما أخرج مسلم ابن الحجاج (رحمه الله) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"[3].

ومما جاء في فضيلة ملازمة المساجد والبقاء فيها ما أخرجه أيضا أبو عبد الله ابن ماجة (رحمه الله) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم"[4].

---

[1] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص١٥
[2] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص١٥
[3] روى الحديث: مسلم، كتاب الطهارة.
[4] روى الحديث: ابن ماجة، كتاب المساجد.

وأما جلوس الناس في المسجد، والتحدث في أمور الدنيا، فذلك مما ينافي العبادة التي بنيت لها المساجد، واتخاذها مجالس عادية كالبيوت والأسواق يدل على الاستهانة بها وعدم احترامها، وقد روي ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا: "يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا، ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة"[1].

تلاوة القرآن في المسجد

ومما روي في فضل قراءة القرآن في المسجد ما أخرجه مسلم بن الحجاج (رحمه الله) من حديث عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: "خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحن في الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتى بناقتين كوماوين[2] فى غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل"[3].

ومما جاء في فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن ومدارسة تفسيره ما أخرجه مسلم (رحمه الله) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[4].

---

[1] روى الحديث: الطبراني.
[2] كوماوين: سمينتين.
[3] روى الحديث: مسلم، كتاب الصلاة المسافرين.
[4] روى الحديث: مسلم، كتاب الذكر.

الاعتكاف في المسجد

الاعتكاف لزوم الشئ وحبس النفس عليه، خيرا كان أم شرا[1]. قال تعالى: ".. **والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ..**"[2]، وقال تعالى: ".. **وأنتم عاكفون فى المساجد ..**"[3]. وقد أجمع العلماء على أنه مشروع، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما[4].

وقد اختلف الفقهاء في المسجد الذي يصح فيه الاعتكاف، فذهب أبو حنيفة وأحمد وإسحاق وأبو ثور إلى أنه يصح في كل مسجد يصلى فيه الصلوات الخمس وتقام فيه الجماعة، لما روى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "كل مسجد له مؤذن وإمام فالاعتكاف فيه يصلح" رواه الدارقطني، وهذا حديث مرسل ضعيف لا يحتج به. وذهب مالك والشافعي وداود، إلى أنه يصح في كل مسجد لأنه لم يصح في تخصيص بعض المساجد شئ صريح. وقال الشافعية الأفضل أن يكون الاعتكاف في المسجد الجامع، لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) اعتكف في المسجد الجامع، ولأن الجماعة في صلواته أكثر، ولا يعتكف في غيره حتى إذا تخلل وقت الاعتكاف صلاة جمعة لا تفوته[5].

الذكر في المسجد

الذكر هو ما يجري على اللسان والقلب، من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال

[1] السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، مرجع سابق. ص٤٣٣
[2] سورة الحج: ٢٥
[3] سورة البقرة: ١٨٧
[4] رواه البخاري وأبو داود وابن ماجة.
[5] السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، مرجع سابق. ص٤٣٤، ٤٣٥

والكمال والجمال[1]. قال تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكره وأصيلا**"[2]. كما بين سبحانه وتعالى جزاء الذاكرين فقال: "**فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**"[3]، كما أضاف الذاكرين إلى صفات متعددة في المؤمنين وبين جزاءهم فقال جل وعلا: "**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**"[4].

ومما جاء في فضل الذكر في المساجد[5] قول الله تعالى: "**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**"[6].

والذكر في المساجد، منه ما هو مأثور عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ومطلق في أي وقت في المسجد، ومنه ما هو محدد بوقت معين كالذكر بعد الصلوات بالأذكار المعروفة الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) يرفعون أصواتهم بالذكر بعد الصلاة، كما أخرج مسلم بن الحجاج (رحمه الله) من حديث أبي معبد مولى ابن عباس، أن ابن عباس (رضي الله عنهما) أخبره أن

[1] السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ٢، المجلد ١٠، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٣م. ص٦٩

[2] سورة الأحزاب: ٤١-٤٢

[3] سورة البقرة: ١٥٢

[4] سورة الأحزاب: ٣٥

[5] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص٥٨

[6] سورة النور: ٣٦-٣٧

رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأنه قال: قال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته[1].

وفى بيان فضل مجالس الذكر المشروعة ومنها ما يمكن أن يعقد في المسجد بشكل رئيس، ما روي عن معاوية أنه قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله نحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا. قال: "آلله. ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا آلله ما أجلسنا إلى ذاك قال: أما إني لم استحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة"[2].

المبحث الثاني: عمارة المسجد الحسية

إذا كان للإنسان روح تسمو في عمارة المسجد الروحية، فإن له حواس ترتبط بجانب آخر من جوانب العمارة، وهو الجانب الحسي. ومن أهم هذه الحواس المرتبطة بعمارة المسجد الحسية، العقل والقلب والبصر والسمع والشم واللمس. وعمارة المسجد يجب أن تراعي عدم شغل حواس المصلي والمتعبد حتى تكون صلاته نقية خالصة، وفي هذا يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"، المراد هنا من أدخل على عمارة المساجد بدعة تتنافى مع روح المساجد وهي البساطة أو أدخل في المسجد شيئا يشغل الناس عن الصلاة[3].

ومن أهم جوانب عمارة المسجد الحسية التي يتناولها هذا المبحث:

---

[1] روى الحديث: مسلم، كتاب المساجد.
[2] روى الحديث: مسلم.
[3] حسين مؤنس، "المساجد"، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٨١م. ص٢٩

تشييد المساجد علامة حسية

فقد اعتبر النبي (صلى الله عليه وسلم) المساجد أمارات تدل على إسلام أهل البلد، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الآذان فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار"[1]. وفى هذا دليل على أن عمارة المسجد تعطى الانطباع المدرك بالحواس - ليس بسماع الأذان فقط وإنما برؤية مباني المساجد أيضا - عن خصائص المجتمع بل ومدى إسلاميته، لأنها المنشآت الوحيدة التي تختلف عن المنشآت التي لا تتواجد في مجتمعات لا تدين بالإسلام. وإن كنا قد تعودنا على وجود المسجد في المجتمعات الإسلامية التي نعيش فيها، فإن من يمكنه أن يدرك ذلك أكثر من أتيحت له فرصة السفر إلى بلاد الغرب، وبشكل خاص في حالة وقوع مسكنه في منطقة بعيدة عن المساجد في المدينة، أو في حالة زيارة مدينة لأول مرة، أو حتى مجرد المرور على المدينة، فمشاهدة المساجد تحقق الانطباع الأول على وجود الإسلام في المدينة.

الجمال الروحي والحسي في المساجد

تعد المساجد أجمل ما يمكن أن تقع عليه عين الإنسان في بلاد المسلمين، فسواء كانت المساجد في قرية صغيرة خافية في بطن الريف، أو مستكنة خلف كثبان الرمال في الصحراء، أو راقدة في لحف جبل، أو كانت في عاصمة كبيرة مترامية الأرجاء متدفقة الحركة عامرة بالمباني الشاهقة، فإن المساجد تضيف إلى المنظر عنصرا من الجلال والجمال الروحي لا يتأت له بدونها، فهي تزيل الوحشة عن تواضع مباني القرية وصغرها، وتنفى الجمود عن غرور مباني العواصم، وتضفي على

[1] روى الحديث: مسلم.

مقطع الأفق في القرية والمدينة توازنـا يـروع النفـس ولمسـة مـن جمـال روحي هادئ رقيـق[1].

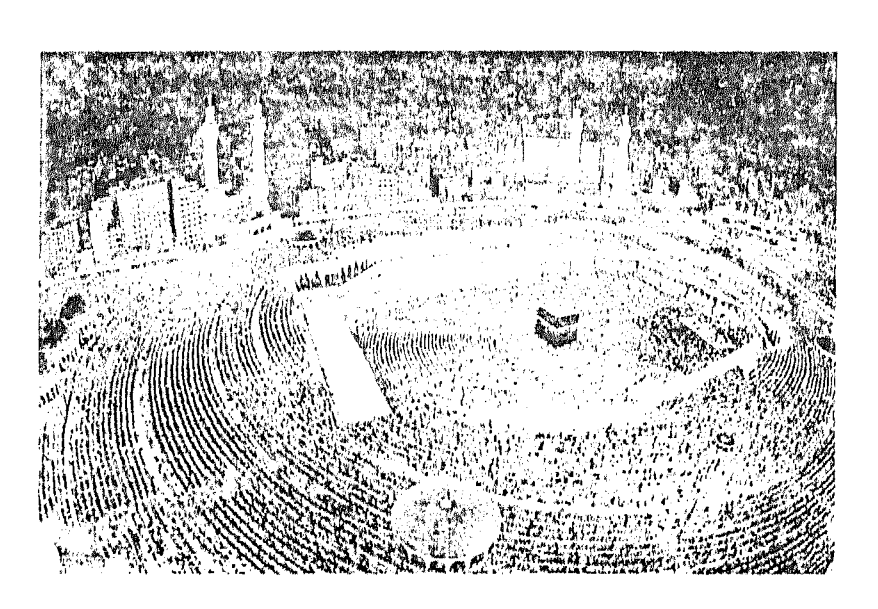
ويتجلى ذلك في أصفى صورة ساعة المغيـب، عندمـا يختفـي حـاجب الشمس وراء الأفق مخلفا في السماء وهجا أحمر برتقاليـا يشـوبه شـئ مـن بنفسج، وبينما تتحول صـور المبـاني إلـى كتـل سـوداء متراصـة كأنـها أشباح، تبدو المساجد بمآذنها وقبابـها ظـلالا جميلـة تضفـى علـى الشـفق الدامي من ورائها جمالا يحس به القلب أكثر مما تـراه العيـن، وفـى لحظـة وقبل أن يهبط رداء الليل ويخيل إليك أن كل ما كـان يـتراءى عنـد مقطـع الأفق قد تلاشى ولـم تبـق إلا المسـاجد[2]، ففـي نفـس اللحظـة تنطلـق أصوات المؤذنين، تنادى أن هلـم إلـى بيـوت الله، رافعـة الأذان "الله أكـبر .. الله أكبر"، فهو سبحانه فوق كل شئ وهـو أكـبر مـن أي شـئ، " أشـهد أن لا إلـه إلا الله" شـهادة التوحيـد والإخـلاص والإفـراد لـه بالوحدانيـة والربوبية، "أشهد أن محمدا رسول الله" خاتم الأنبيـاء والرسـل بلـغ الرسـالة وأدى الأمانة ونصح الأمـة وتركـها علـى أفضـل هـدى وأقـوم شـريعة وطريق مستقيم، "حي علـى الصـلاة" "حـي علـى الفـلاح" خـيري الدنيـا والآخرة فلهم إلى رب غفور رحيم كريـم كتـب علـى نفسـه الرحمـة، "الله أكبر .. الله أكبر" على هذه السعادة وهذا الخـير الكثـير الـذي يتحقـق فـي تلبية النداء، "لا إله إلا الله" فـلا يبـق سـواه هـو الأول والآخـر والظـاهر والباطن وهو بكل شئ عليم. فتتبـدى الصـورة الحسـية فـي مشـهد يذكـر الإنسان بالحشر والنهاية وعظمة الله وأن الله فـوق كـل شـئ وهـو البـاقي بعد الموت والفناء، سـبحانه القـائل عـن نفسـه: "**ولا تـدع مـع الله إلـها أخـر لا إلـه إلا هـو كـل شـئ هـالك إلا وجهـه لـه الحكـم وإليـه ترجعـون**"[3].

---

[1] حسين مؤنس، مرجـع سـابق. ص٣١
[2] حسين مؤنس، مرجـع سـابق. ص٣١
[3] سورة القصص: ٨٨

المساجد شاهد على التاريخ

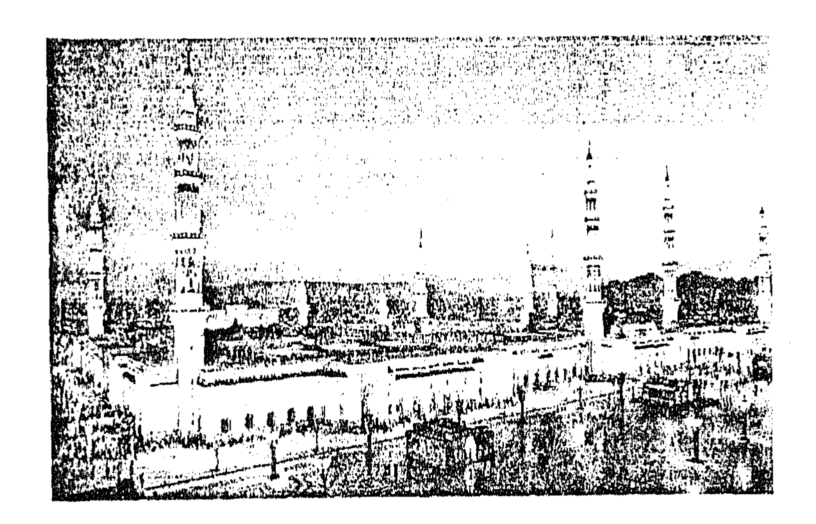
عندما تتاح لك فرصة زيارة المسجد الحرام، شكل رقم (١)، أو المسجد النبوي، شكل رقم (٢)، لابد وأن ينتابك الإحساس وأن تتمثل الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو يطوف بالبيت ويصلي في حجر إسماعيل، ويصلي في المكان ما بين البيت والمنبر، ويتمثل لك الصحابة وهم يجلسون في المسجد يتلقون العلم ويتدارسون الدين. وعندما تدرس الزيادات التي تمت على عمارة المسجد النبوي في عصورها المختلفة يتمثل لك المجتمع الإسلامي في مراحله المختلفة.



شكل رقم (١) المسجد الحرام

وعندما تتاح لك فرصة زيارة أحد المساجد في أي بلد تحس بعبق التاريخ ينبعث من جدران المسجد وعناصره المختلفة. فإن كان الشعر ديوان العرب كما يقولون، فإن المساجد هي ديوان أمم الإسلام، فقد كان جامع عمرو بن العاص في الفسطاط سجلاً لتاريخ العصور الإسلامية في مصر، وكذلك المسجد الجامع في القيروان بمثابة فصول كاملة من

تاريخ أفريقيا والمغرب، والمسجد الجامع في قرطبة إذ أن عمارته تؤرخ لأمراء البيت الأموي الأندلسي واحداً واحداً، كذلك بالنسبة للجامع الأزهر في القاهرة[1].



شكل رقم (٢) المسجد النبوي في الوقت الحالي

زخرفة المسجد

من أسباب الخشوع في الصلاة ألا يكون أمام المصلي أو عليه ما يشغله من ألوان وخطوط وكتابات ونحو ذلك، ومن أدلة كراهة ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث عائشة (رضي الله عنها): أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صلى في خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة،

[1] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشريعة لعمارة المساجد"، ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، الرياض، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩هـ. ص٣

فلما انصرف قال: "اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وائتوني بانبجانية[1] أبي جهم، فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي"[2].

وقد ظل مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على حالته من عدم الزخرفة حتى جاء عصر الوليد بن عبد الملك بن مروان فأمر بزخرفة المسجد النبوي وتزويقه وتلوينه وأنفق عليه الأموال الطائلة، ويعد أول من زخرف المساجد وسكت عنه كثير من السلف خوف الفتنة، قال ابن القاسم: "سمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما علم فيه من التزويق في قبلته فقال: كره الناس ذلك حين فعله أي الوليد". ثم تفشت هذه الظاهرة في أرجاء العالم الإسلامي[3].

والزخرفة تعني وضع الزينة في المسجد، ومنها طلاء الجدران، ومنها الكتابة عليها بالذهب والفضة، ومنها النقوش التي تصنع في المحراب وجدار القبلة، ومنها صيانة المسجد وإكمال بنائه وتجصيص جدرانه بالنورة، ومنها الرسوم والتصاوير فلو وضعت الزينة في المسجد بأي صورة من هذه الصور دخلت في الزخرفة، ولو زينت جدرانه بالذهب والفضة فذلك زخرفة، ولو نقشت جدرانه بالألوان والأصباغ لصدق على ذلك اسم الزخرفة، ولو وضعت في المسجد تصاوير فهي نوع من أنواع الزخرفة والسجاد المنقوش والقناديل الذهبية والستائر على المنابر والمقاصير ووضع القناديل على منارات المساجد في الاحتفالات البدعية يدخل في معنى الزخرفة، وكتابة آيات الله وأسمائه الحسنى والمعوذتين وغير ذلك من الآيات الكريمة على الجدران يعد أيضا من الزخرفة[4].

---

[1] الخميصة: نوع من الثياب له أعلام. الأنبجانية: نوع آخر له خمل وليس له أعلام (عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص٥).
[2] روى الحديث: البخاري، كتاب الصلاة.
[3] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص٢٢،٢٧
[4] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص٢٢،٢٣

وبالنسبة لزخرفة المسجد بالذهب والفضة وفي النقش على جدرانه والكتابة عليها ونحو ذلك مما قد يلهي المصلي ويشغله، فقد اختلف الفقهاء في ذلك، فأجاز ذلك الحنفية ورأوا فيه تعظيما له. ومنهم من استحب ذلك، وبعضهم كرهه، وفي المذهب الحنبلي قول بالكراهية واخر بالتحريم. وفي المذهب المالكي قول بالجواز، وفي مذهب الشافعية كراهية نقش المسجد واتخاذ الشرفات له، وقد قال بعضهم لو مررنا على القول بالجواز فكم من مباح تركه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورعا واستقلالا من الدنيا في مأكله ومسكنه ومصلاه الذي كان يصلي به[1]. وحجة من كره زخرفة المسجد أنه قد روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وصححه ابن حبان عن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد**"، ولفظ ابن خزيمة: "**يأتي على الناس زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعمرونها إلا قليلا**"، كما روى أبو داود وابن حبان وصححه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**ما أمرت بتشييد المساجد**[2]"، زاد أبو داود: قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "**لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى**"[3].

كما ورد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مال البحرين الذي لم ير المسلمون حينئذ أكثر منه، ووردت فيه بعض زخائر كسرى وقيصر، وحمل منه العباس (رضى الله عنه عدته التي وعده الله بها في قوله تعالى "**يؤتكم خيرا مما أخذ منكم**"[4]، فحمل من المال ما قويت طاقته على حمله، وحصل من الدنيا هذا الذي حصل، ولم يجعل منه (صلى الله عليه وسلم) شيئا في تزويق المسجد ولا توشيته، فلو كان

---

[1] محمد بن عبد الهادي أو الأجفان، مرجع سابق. ص٣٦

[2] ما أمرت بتشييد المساجد: أي برفع بنائها زيادة على الحاجة. (السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، مرجع سابق. ص١٨٦).

[3] السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، مرجع سابق. ص١٨٦

[4] سورة الأنفال: ٧٠

ذلك من القربة المرغب فيها لما تركه حتى توفاه الله (صلى الله عليه وسلم)[1].

إن طبيعة المساجد نفسها تتنافى مع الضخامة والإسراف في الزينة، لأننا نعرف أن المسجد ينبغي أن تتناسب هيئته مع بساطة الإسلام وصفائه، فالإسلام دين سهل يسر وواضح، وعبادته كلها بسيطة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، والسبب في ذلك أن المساجد أقيمت للصلاة، ولابد فيها من صفاء النفس وإخلاص النية وطهارة القلب والاتجاه نحو الخالق بالروح قبل الجسد، ويستوي في هذه الحالة أن يصلي الإنسان على حصير نظيف جاف في الهواء الطلق، وعلى طنفسة غالية الثمن تحت سقف جامع سامق الارتفاع، ومن هنا كره الصالحون المساجد الضخمة المثقلة بالزينة، لأن المظهر الفخم لا يخلو من غرور وتكلف، ولأن الزينة تشغل المصلي عن الانصراف بقلبه نحو الخالق، وهذه البساطة هي أجمل ما في عمارة المساجد، وإنه لمن مفاخر المعماريين المسلمين أنهم تمكنوا من إنشاء مساجد هي الغاية في الفخامة والروعة مع المحافظة على روح الإسلام التي تتجلى في البساطة الوقور[2].

ومن الأفضل عدم الكلفة الطائلة في الزخرفة التي قد يبنى بها أكثر من مسجد ينتفع منه الناس، وهذا أفضل[3] من تكليف المساجد، في الوقت الذي قد تكون هناك مناطق أخرى بها مسلمون وليس بها مساجد في الأصل أو بها مساجد غير كافية في العدد والمسطح.

وبعد مناقشة طويلة لآراء العلماء في موضوع زخرفة المسجد خلص الدكتور "صالح بن غانم السدلان" إلى أن الزخرفة التي يراد منها إحكام البناء وتقويته، وليست مموهة بالزخارف والأصباغ والصور والرسوم المحرمة والألوان الصارخة والأشياء اللامعة، ولم يقصد منها

---

[1] محمد بن عبد الهادي أو الأجفان، مرجع سابق. ص٣٦

[2] حسين مؤنس، مرجع سابق. ص٣٤

[3] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٤١

الرياء والمباهاة أو التشبه باليهود والنصارى فلا بأس فيها لأن ذلك يعد من البناء، وقد خلا من علة التحريم أو الكراهة. أما ما لم يعد بناء كعمل البروزات والثريات والنقش على الجدران بالألوان والأصباغ، ووضع التصاوير والرسوم والستائر والقناديل، والكتابة بالذهب والفضة على المحراب والمنبر وجدار القبلة، ووضع القناديل على منارات المساجد، وكتابة شئ من ايات الله ومن أسماء الله الحسنى، وبذل الأموال الطائلة في أثاثها، كل ذلك قليله لا يخلو من الكراهة وكثيره حرام، بل هو بدع فى الدين، والأولى اتباع السنة وما كان عليه إجماع هذه الأمة سلفا وخلفا ولا ينظر إلى المخالف[1]، للاحتجاج به في أمور بينة وترتبط بمبادئ إسلامية أخرى كعدم الإسراف وعدم المغالاة والمباهاة.

الألوان في المساجد

روى ابن خزيمة وصححه: أن عمر (رضي الله عنه) أمر ببناء المساجد فقال "أكن للناس من المطر وإياك إن تحمر أو تصفر فتفتن الناس[2]"[3]. لأن اللونين الأحمر والأصفر من الألوان الساخنة (الدافئة) التي تجذب النظر وتشد العين نحوها، مما يخشى معه انصراف الناس وشغلهم بهذه الألوان أثناء الصلاة، وخصوصا لو كانت في الأرضية أو الحوائط أو الأثاث، وبالتالي فالأفضل الألوان الهادئة وخصوصا الأخضر، قال تعالى: "**متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**"[4]، كما قال جل وعلا: "**عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ..**"[5]. وهذا من عجائب القرآن، ففي دراسة بحثية أجراها

---

[1] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص٢٨

[2] تفتن الناس: أي تلهيهم.

[3] السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، مرجع سابق. ص١٨٦

[4] سورة الرحمن: ٧٦

[5] سورة الإنسان: ٢١

"على المفتى" عن خلايا الشبكية وعلاقتها بالألوان خلص فيها إلى أن ٨٠% من خلايا شبكية العين مخصصة لاستقبال اللون الأخضر مقابل ٢٠% للونين الأحمر والأزرق، وهو يرى أن هذه النتائج تفسر الراحة النفسية والإشباع البصري الذي يسببه التعرض للون الأخضر، كما أضاف أن اللون الأبيض يقلل من حدة الإبصار، والأحمر يثير الانتباه[١].

الصوت في المسجد

لقد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على عدم التشويش على المصلي أثناء الصلاة في المسجد، وذلك فيما رواه أبو داود السجستاني (رحمه الله) من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: "اعتكف رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: "**ألا أن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة - أو قال في الصلاة**"[٢].

ومما يستدل به على منع رفع الصوت في المسجد ما رواه البخاري عن السائب بن يزيد قال: كنت قائما في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، فقال: اذهب فأتني بهذين فجئته بهما، قال: (من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٣].

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "**وإياكم وهيشات الأسواق**"[٤]. قال النووي: "أي اختلاطها،

---

[١] خالد صلاح سعيد، "اللون وواجهات المباني .. دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، أسيوط، ٢٠٠٠م. ص١١٣، ١١٤

[٢] روى الحديث: أبو داود، كتاب الصلاة.

[٣] روى الحديث: البخاري، كتاب المساجد، باب رفع الصوت في المسجد.

[٤] روى الحديث: مسلم في صحيحه.

والمنازعة والخصومات، وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها"[1].
وهذا عام في وقت الصلاة وغيرها، وذلك لأن الأسواق يحصل فيها الاختلاف ورفع الصوت والنزاع، فأمرهم باحترام أماكن الصلاة، وإبعادهم عما يحصل في الأسواق، ويستثنى من ذلك رفع الصوت بالذكر الوارد بعد انقضاء الصلاة المكتوبة، ففي الصحيحين عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "إن رفع الصوت بالذكر حيث ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"[2].

وفيما يخص عمارة المسجد الحسية من ناحية الصوت فهي لزوم الخواص الصوتية المناسبة للمسجد، بمعنى ضمان وصول الصوت إلى كل المامومين وخصوصا مع استخدام المواد الحديثة التي قد تفتقر إلى الكفاءة في تحقيق جودة صوتية داخل الحيز المعماري، ومع ما يتطلب الأمر من ضمان وصول صوت الإمام سواء في الصلاة أو الخطبة أو الدروس إلى كل موقع في المسجد بشكل نقي لتحقيق السماع المطلوب، وخصوصا للآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

إنارة المسجد

ذكر إن مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان إذا جاءت العتمة يوقد فيه سعف النخيل، فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا، وعلق تلك القناديل بسواري المسجد وأوقدت فقال (صلى الله عليه وسلم) نورت مسجدنا نور الله عليك[3]. كما قال آخرون أن أول من قام بإنارة المسجد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

[1] انظر كلام النووي في شرح مسلم ١٥٦/٣ (عبد الله بن عبد الله الجبرين، "فصول ومسائل تتعلق بالمساجد"، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ، ص٤٨).
[2] روى الحديث: البخاري.
[3] محمد عبد الستار عثمان، "نظرية الوظيفية ..". مرجع سابق. ص٣٩

عندما جمع الناس في صلاة التراويح على أبـــي بـــن كعـــب، فقـــال علي (رضي الله عنه): نورت مساجدنا نور الله قبرك يـــا ابـــن الخطـــاب[١]. وقد روى ابن ماجة وأبو داود عن ميمونـــة مـــولاة النبـــي (صلـــى الله عليـــه وسلم) قالت: يا رسول الله أفتنا فـــي بيـــت المقـــدس. قـــال: "**فـــإن لـــم تـــأتوه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله**". ولاشك في أن إنارة المســـــجد مـــن الأمـــور التي ترغب فيه وتيسر الطريق لمـــن يقصـــده، ولمـــن دخلـــه حتـــى يـــدرك الموضع الذي يقصده، وينظر مواضـــع الصـــلاة، ويتوقـــى خطـــر الصـــلاة لغير القبلة، أو العثور فـــي شـــخص جـــالس أو آخـــر يصلـــي، أو يصطـــدم بعمود أو حائط، وقد يســـر الله فـــي هـــذه الأزمنـــة الكـــهرباء والتـــي بـــها أشرقت المساجد واستنار الطريق وتيسرت الســـبل للوصـــول إلـــى المســـاجد بسهولة وراحة وأمن من الأخطـــــار[٢].

ومن بأب عدم الإســـراف المنـــهي عنـــه شـــرعا لقـــول الحـــق تبـــارك وتعـــــالى: "**يـــا بنـــى آدم خـــذوا زينتكـــم عنـــد كـــل مســـجد وكلـــوا واشـــربوا ولا تســـرفوا إنـــه لا يحـــب المســـرفين**"[٣]؛ فيفضـــــل الاعتماد بشكل أساسي على استخدام الإضاءة الطبيعيـــة فـــي النـــهار وتكـــون عن طريق الاستفادة من ضوء النـــهار والإســـطاع الشـــديد للشـــمس، وذلـــك من خلال فتحات تحقق الاتصال بين حـــيز الصـــلاة فـــي المســـجد والفضـــاء الخارجي، ولا تقع في مستوى نظر المصلين كما ســـنبين ذلـــك فـــي الفصـــل القادم. ومن الفوائد التي حققـــها الطـــراز العربـــي للمســـجد النبـــوي والـــذي يتكون من حيز للصـــلاة علـــى اتصـــال بصحـــن داخلـــي مكشـــوف عمليـــة الإضاءة الطبيعية لحيز الصلاة أثناء النـــهار، حتـــى فـــي طـــراز الأيونـــات التي تصطف حول صحن مكشوف، لعب فيها الصحـــن نفـــس الـــدور.

[١] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجـــع ســـابق. ص٣٠
[٢] عبد الله بن عبد الله الجبرين، مرجـــع ســـابق. ص٢٣
[٣] سورة الأعراف: ٣١

تهوية المسجد

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "إذا اشتد الحر فابردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم"[1]، وهذا ما يمكن أن نستشف منه رفق الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالناس في أوقات الحر الشديد، ومن هنا يلزم توفير التهوية المناسبة للمصلين أثناء تأدية الصلاة تحقيقا للخشوع في الصلاة، لأن الإنسان في الحر الشديد يشعر بالضيق مع كثرة العرق وبالتالي فقد ينصرف ذهنه عن الصلاة. ولقد يسر الله عوامل تحقيق التهوية الطبيعة والصناعية في المساجد بشكل كبير وأساليب متنوعة.

ومن باب عدم الإسراف أيضا؛ فيفضل التهوية الطبيعية داخل حيز الصلاة، من توجيه المسجد واستخدام الوسائل الطبيعية للتبريد الشمسي السالب، وهو يعنى الاعتماد على الفرق بين درجة حرارة المناطق المختلفة داخل المسجد في تحريك الهواء من خلال عناصر خاصة مثل ملاقف الهواء التي تعلو سطح المسجد وتوجه ناحية الهواء، مع تزويدها بالمياه أو عناصر مبللة لترطيب درجة حرارة الهواء، وهى ما تسمى في بعض المناطق بأبراج التهوية والترطيب. هذا بجانب الاعتماد على الوسائل الصناعية ولكن يراعى فيها دقة التصميم التي تحقق الهدف دون إسراف في الطاقة.

الرائحة الطيبة ونظافة المسجد

قال تعالى: "**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود**"[2]، كما يقول جل وعلا: "**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا**

---

[1] روى الحديث: البخاري، كتاب مواقيت الصلاة.
[2] البقرة: ١٢٥

تسرفوا إنه لا يحب المسرفين"[1]. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**حق على كل مسلم الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة**"[2]. وفي هذا دليل على وجوب النظافة الحسية والمادية سواء بالنسبة المسجد أو المصلين.

وقد أمر الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بتزيين المساجد وتنزيهها من الروائح الكريهة، ولو كانت غير محرمة، مثل نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أكل البصل والثوم عند الذهاب للمسجد، فقال: "**من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مصلانا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس**"[3].

وروى أبو داود (رحمه الله) عن أنس (رضى الله عنه) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت على ذنوب أمتى، فلم أرى ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها الرجل ثم نسيها**"[4].

وقال النووي (رحمه الله): يسن كنس المسجد وتنظيفه وإزالة ما يرى فيه من نخامة أو بصاق ونحوه وهو أمر مجمع عليه، بل يرى بعض أهل العلم أن تنظيفه واجب[5].

ومما يروى في تطييب المسجد وتبخيره ما روي عن عائشة (رضي الله عنها) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر ببناء المساجد في الدور، وأمر بها أن تنظف وتطيب[6].

---

[1] سورة الأعراف: ٣١

[2] روى الحديث: أحمد.

[3] روى الحديث: البخاري في أبواب صفة الصلاة، باب ما جاء في الثوم النيئ.

[4] روى الحديث: أبو داود.

[5] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٢٩

[6] روى الحديث: أحمد وأبو داود والترمذي.

الفصل الثاني

عمارة المسجد البنائية

العمارة البنائية هي المكون المادي للمبنى، والمسجد كأي مبنى له بنيان مادي يتكون من مواد بناء وأسلوب بناء وهيئة معمارية وعناصر معمارية وإنشائية وعمالة قائمة على عملية البناء، وغيرها.

ويتناول هذا الفصل بيان الضوابط الشرعية التي تلعب دورا في تحديد ماهية العمارة البنائية للمسجد في المدينة الإسلامية.

المبحث الأول: موقع أرض المسجد

لقد حكمت أهمية المسجد موقعه في المدينة باعتباره النواة الأساسية في تخطيطها، وكان مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أول شئ اختط في المدينة ومن حوله اختطت خطط المهاجرين التي كانت في معظمها قطائع وخططا تنازل عنها الأنصار للمهاجرين[١].

وسارت مدن الأمصار الناشئة على هذا النهج في اختيار موضع متوسط في المدينة لإقامة المسجد الجامع، ومن أمثلة ذلك البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، وأصبح هذا الاتجاه قاعدة تقليدية في المدن الإسلامية بعد ذلك كما في بغداد وفاس وغيرهما، وقد كشف ابن الربيع عن السبب الرئيس وراء اختيار هذا الموقع المتوسط عندما شرط على الحاكم: أن ينشئ في وسط مدينته "جامعا" ليتعرف عليه جميع أهلها كناية عن قربه من كل موضع في المدينة ليسهل التوصل إليه، ولا سيما أنه لم يكن يقام أكثر من خطبة في المدينة الواحدة[٢].

---

[١] محمد عبد الستار عثمان، "المدينة الإسلامية"، مرجع سابق. ص٢٣٤

[٢] محمد عبد الستار عثمان، "المدينة الإسلامية"، مرجع سابق. ص٢٣٥

أما الأرض التي يبنى عليها المسجد، فقد ذكر أهل العلم أن كل أرض تصلح أن تكون مسجداً، ولكن بالشروط التالية:

١- **ألا تكون الأرض قبوراً للمسلمين:** أو فيها قبور مسلمين، لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) نهى عن الصلاة في المقابر، وذكر البخاري عدداً من الأحاديث وعنون للباب: باب كراهية الصلاة في المقابر. فقد روي عن عائشة (رضي الله عنها) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في مرضه الذي مات فيه: "**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"[1]. وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيميه (رحمه الله) بما نصه: هل تصح الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر، والناس تجتمع فيه لصلاتي الجماعة والجمعة أم لا؟ وهل يمهد القبر، أو يعمل عليه حاجز أو حائط؟ فأجاب: الحمد لله، اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**"[2]، وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير، إما بتسوية القبر، أو بنبشه إن كان جديداً، وإن كان المسجد بني بعد القبر، فإما أن يزال المسجد وإما تزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل، فإنه منهي عنه[3]. أما بناء المسجد على قبور المشركين فقد أجاز الفقهاء نبش القبور وبناء المسجد عليها لأنها لا حرمة لها وأنهم ليسوا أهل كتاب[4]،

---

[1] روى الحديث: البخاري في الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي (صلى الله عليه وسلم).

[2] روى الحديث: مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

[3] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص١١٣،١١٤

[4] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، "عمارة المساجد في ضوء الأحكام الفقهية: دراسة تطبيقية أثرية"، ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، الرياض، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩هـ. ص١٣٥

وقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقبور المشركين التي كانت في موقع مسجده قبل البناء فنبشت قبل عملية البناء[1].

٢- ألا تكون الأرض مغصوبة: بل ذهب أهل العلم إلى عدم صحة الصلاة في الأرض المغصوبة، أما تحريم الصلاة فمحل إجماع من أهل العلم. وفي بناء المساجد على أرض مغصوبة يقول الحافظ ابن حجر (رحمه الله): بناء المسجد على ملك المرء جائز بالإجماع وفي غير ملكه ممتنع بالإجماع[2].

٣- ألا يكون في محل انتفاع الناس: مثل أن يكون في طريق ينتفع فيه كثير من الناس. يقول ابن حجر (رحمه الله): وفي المباحات حيث لا يضر بأحد جائز أيضا لكن شذ بعضهم فمنعه، لأن مباحات الطرق موضوعة لانتفاع الناس فإذا بنى فيها مسجد منع انتفاع بعضهم، فأراد البخاري الرد على هذا القول بهذا الباب (باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس)[3].

٤- ألا تكون أرض المسجد مجاورة لمسجد آخر: قال الله تعالى: "**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون**"[4]. ذكر القاسمي (رحمه الله) أن من البدع العادية كثرة المساجد في المحلة الواحدة فقال: ينبغي ألا يبنى مسجد بجوار آخر لغير حاجة كضيق ونحوه لأن ذلك يفرق جمع المسلمين وربما أشبه مسجد الضرار، ويتأكد عدم بناء المساجد وخصوصا الجامعة منها بالقرب من بعضها وذلك بعدا عن الضرر وتحقيقا لحكمة مشروعية الجمعة التي هي الصلاة التي تجمع الناس، وكان السلف يفضلون المسجد العتيق على الجديد لأن عتق المسجد

[1] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد" مرجع سابق. ص٤

[2] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٤٠

[3] انظر صحيح البخاري.

[4] سورة التوبة: ١٠٧

محمدة له[1]؛ ذلك لأن المسجد القديم يتميز بأنه قد شهد أنوار الصلاة وخشوع الجماعات ودعاء المحتاجين وابتهال الذاكرين، فهو كالشيخ الكبير الوقور الذي أكثر من فعل الحسنات، وابتعد عن السيئات، فاكتسى بنور الإيمان.

المبحث الثاني: عناصر المسجد المعمارية

في هذا الجزء من البحث نحاول توضيح العناصر المعمارية للمسجد سواء تلك التي وجدت في مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأول، أو أضيفت له، أو التي كانت عليها في المساجد التي بناها السلف الصالح، وبالتي بانت في حكم الإقرار والجواز، وسوف نركز على الضوابط الشرعية التي تحكم تواجد كل عنصر وكذا تصميمه والهيئة التي يكون عليها في المسجد وعلاقته ببناء المسجد من ناحية وبالمصلين من ناحية أخرى، ومن أهم هذه العناصر المعمارية ما يلي:

حيز الصلاة

ويسمى أيضا "بيت الصلاة" أو "الظلة" أو "الرواق"، ووظيفة حيز المسجد أنه مكان الصلاة في المسجد، حيث يقف الناس في استواء تام في صفوف بمحاذاة القبلة لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "**سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة**"[2]، كما روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**"[3]. كما رغب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الصف الأول،

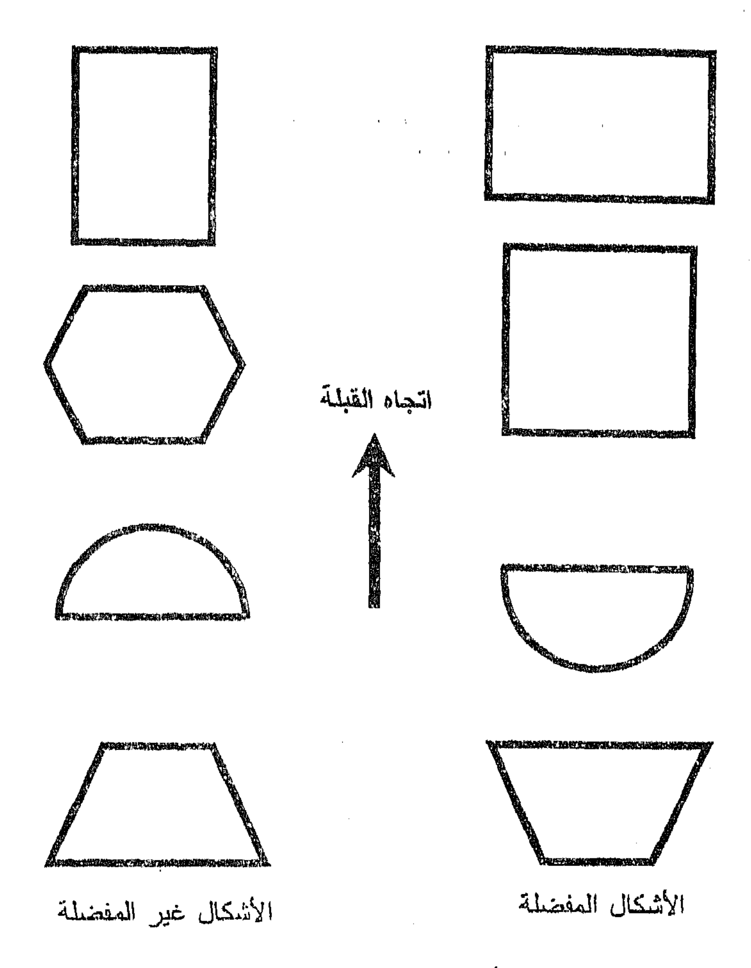
[1] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص١٠٤
[2] السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، مرجع سابق. ص١٨٢
[3] روى الحديث: الجماعة إلا البخاري.

فعن أبي أمامة (رضي الله عنه) أن النبـــي (صلـــى الله عليـــه وســـلم) قـــال: "إن الله وملائكته يصلون علـــى الصـــف الأول"، قـــالوا: يـــا رســـول الله وعلـــى الثاني؟ "قال: وعلـــى الثـــاني"[1]. كـــل هـــذا يجعـــل هنـــاك تفضيـــلا لبعـــض الأشكال الهندســـية عـــن الأخـــرى، فالشـــكل المســـتطيل وشـــبه المنحـــرف ونصف الدائرة (المواجهة بقطرهـــا للقبلـــة)، كلـــها أشـــكال يمكنـــها تحقيـــق صفوف أولى أكثر طولا، ومن هنا فهي أفضـــل فـــي الاســـتخدام عنـــها فـــي حالة الأشكال الأخرى[2]، شكل رقم (٣)، ولأن طـــول الصفـــوف أهـــم مـــن كثرتها حتى يتمكن المصلون في الصفـــوف المتـــأخرة مـــن الإنصـــات إلـــى الإمام ومتابعته، فعـــن أبـــي ســـعيد الخـــدري (رضـــي الله عنـــه) أن النبـــي (صلى الله عليه وسلم) قـــال للصحابـــة عندمـــا رأى فيـــهم تـــأخرا: "تقدمـــوا فأتموا بي وليأتم بكم مـــن بعدكـــم ولا يـــزال قـــوم يتـــأخرون حتـــى يؤخرهـــم الله"[3]. وعلى هذا النهج كـــان مســـجد الرســـول منـــذ أن انشـــاه (صلـــى الله عليه وسلم)، حيث بلغت أبعاده سبعين ذراعـــا مـــن الشـــمال إلـــى الجنـــوب، وستين ذراعا من الشرق إلـــى الغـــرب[4]، أي ذو شـــكل مربـــع يميـــل إلـــى المستطيل، وإن كانت الاستطالة في اتجاه عمـــودي علـــى القبلـــة، فـــإن رواق الصلاة كان ذو شكل مستطيل يواجـــه القبلـــة بضلعـــه الأكـــبر، لأن المســـجد كان يحتوى على رحبة (صحن) داخليـــة كبـــيرة.

كما أنه يمكننا أن نستنبط قاعدة أخرى في شـــكل حـــيز الصـــلاة، وهـــى استحباب جعل مكان القبلة (المحراب) فـــي وســـط جـــدار القبلـــة لمـــا رواه ابو هريرة (رضـــى الله عنـــه) أن النبـــي (صلـــى الله عليـــه وســـلم) قـــال: "وسطوا الإمام وسدوا الخلـــل"[5].

---

[1] روى الحديث: أحمد والطـــبراني.
[2] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير فـــي تصميـــم الحـــيز الداخلـــي للمســـجد"، نـــدوة عمارة المســـاجد، كليـــة العمـــارة والتخطيـــط، الريـــاض، ١٣-١٧ شـــوال ١٤١٩هـــ.. ص٥٨
[3] روى الحديث: مســـلم.
[4] عبد العزيز بن سعد بن حمد المقـــرن، مرجـــع ســـابق. ص٣٣
[5] روى الحديث: أبو داود وسكت عنه هـــو والمنـــذري.



شكل رقم (٣) الأشكال المفضلة وغير المفضلة في حيز الصلاة

وقد تعددت أنماط المساجد، فمنها ما هو عبارة عن بيت للصلاة وصحن مكشوف، ومنها ما هو أروقة حول فناء، ومنها ما هو حيز معماري مسقوف بدون صحن أو فناء، إلا أنها جميعها قد احتوت على حيز الصلاة بشكل إن لم يكن على هيئة مستطيل يواجه القبلة بضلعه الأكبر فهو على الأقل مربع بمحاذاة القبلة.

ومن هنا يجب أن يراعى وضع حيز الصلاة في الموقع العام لمبنى المسجد بحيث يتم التغلب بالتصميم المعماري على مشكلات الموقع، وبما يتيح تحقيق زيادة في طول الصفوف الأولى، وإن لم يتم ذلك فعلى الأقل تسوية أطوال جميع الصفوف، مع الأخذ في الاعتبار بالا تكون الصفوف الأولى أقصر من الخلفية.

أما بالنسبة لإشكالية تصميم الحيز الداخلي للمسجد، فيبدو التساؤل عن أي الاتجاهات الفكرية تسلك عملية التصميم المعماري لحيز الصلاة؟ وكما سبق وأن ذكرنا فإن شكل المسقط الأفقي يتحدد بناء على مدى توافقه مع وظيفة الحيز كمكان للصلاة في صفوف منتظمة باتجاه القبلة، وبالتالى فإنه يتم البحث عن الشكل المعماري للمسقط الذي يناسب هذه الوظيفة أولا، ولا يمكن أن تنجح عملية التصميم لو أنه أوجدنا الشكل أولا ثم بحثنا عن مدى توافقه مع نشاط الصلاة، وهذا ما يمكن أن نلاحظه في المساجد التي تنشأ أسفل المباني حيث نجد عدم محاذاة الشكل للقبلة بأي من أضلاعه، وبالتالي عدم توافق شكل المسقط الأفقي لها لفكرة تراص المصلين في صفوف.

ومن هنا فإنه يمكن القول بأن عملية التصميم المعماري للحيز الداخلي للمسجد هي عملية ذات اتجاه واحد تهتم بالوظيفة أولا، بمعنى أن التصميم يتم من الداخل إلى الخارج، وليكن الشكل الخارجي الذي يغلف هذه الوظيفة على أي صورة طالما أنه في إطار منهج وقوف المصلين بهيئة خاصة أثناء الصلاة.

رحبة المسجد (الصحن)

الرحبة هي المساحة المكشوفة من المسجد وتتصل بحرمه وأروقته وجدرانه الخارجية، وقد اتخذت في مساجد الأمصار التي دانت بالإسلام اقتداء بعمارة مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث كان في مسجده مساحة مكشوفة بين الظلتين، وفي كثير من المساجد يضم الصحن

مصادر للمياه يتوضأ منها الناس، وتزرع فيه الأشجار أحيانا، ويستفاد منه في استيعاب المصلين إذا زادوا عن طاقة المسجد[١].

وقد اختلف الفقهاء في حكم الرحبة هل تأخذ حكم المسجد؟ فكان هناك ثلاثة أقوال: القول الأول: أن الرحبة إن كانت متصلة بالمسجد محوطة فهي من المسجد وتأخذ حكمه. والقول الثاني: أن الرحبة ليست من المسجد مطلقا متصلة به أم منفصلة عنه. والقول الثالث: أن رحبة المسجد منه مطلقا متصلة كانت أم منفصلة عنه. والذي يترجح أن الرحبة أو الصحن يعد من المسجد ويأخذ حكمه إن كان متصلا به موقوفا عليه محدد المعالم معروف المساحة، وفي هذه الحالة يجوز اقتداء من به بإمام المسجد، ويأخذ جميع أحكام المسجد[٢].

والذي يتأمل مساجد المسلمين اليوم يجدها من جهة الرحبة تنقسم إلى خمس حالات: الحالة الأولى: أن تكون الرحبة خلف مصابيح المسجد، ليس بينها وبين المسجد جدار فاصل، فهذه من المسجد. الحالة الثانية: أن تكون الرحبة في وسط المسجد، وخلفها مصابيح، وأمامها مصابيح، ولا يدخل المسجد إلا منها، فهذه من المسجد، وسواء فصل بينها وبين المصابيح بجدر أو لا. الحالة الثالثة: أن تكون الرحبة محيطة بالمسجد، ولا يفصلها عن المسجد الجدار الشرقي، ولا يدخل المسجد إلا منها، فهذه من المسجد لكن لا تصح الصلاة فيها أمام الإمام. الحالة الرابعة: أن تكون محيطة بالمسجد من جميع جوانبه، وعليها بناء، ومفصول بينها وبين المسجد بأبواب، فهذه محل الخلاف، والراجح أنها من المسجد. النمط الخامس: أن تكون قطعة أرض ملاصقة للمسجد ولا بناء فيها، فهي من حرم المسجد، لا تأخذ حكم المسجد، وإن كانت محيطة بالمسجد من جميع الجوانب، فيصح اقتداء من خلف الإمام بها

---

[١] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١١

[٢] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١١،١٢

حال الازدحام واكتمال الصفوف إذا أمكن سماع الصوت أو رؤيته من خلف الإمام[1].

كما اختلف الفقهاء في حكم زراعة فناء المسجد بالأشجار، فمنهم من قال بالتحريم إذا كانت تؤثر على وظيفة المسجد وهى الصلاة، ومنهم من رأى كراهة ذلك كأبي موسى وأبي الفزج وابن أبي شريف الشافعي، وهناك من الفقهاء من أجاز ذلك طالما أنها لا تؤثر على وظيفة المسجد وتحقق أغراضا نفعية له وللمسلمين[2]. ولعل المتأمل لقصة بناء مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) يجعلنا نميل إلى الرأي بعدم جواز الزرع في المسجد ونستمد ذلك مما ذكر من أن موقع مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد كان به نخل قبل البناء فأمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقطع[3]، ولو كان الأمر غير ذلك لتركه (صلى الله عليه وسلم) قائما في المسجد أو في فناء المسجد، للاستفادة به في الإظلال على الأقل، وخصوصا أن المسجد بداية لم يكن له سقف.

مصلى النساء

يجوز للنساء الخروج إلى المساجد وشهود الجماعة بشرط أن يتجنبن ما يثير الشهوة ويدعو إلى الفتنة من الزينة والطيب، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " **لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد، وبيوتهن خير لهن**"[4]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجن تفلات**" (أي غير متطيبات)[5]، وعنه أيضا أن

[1] إبراهيم بن صالح الخضيري، مرجع سابق. ص٤٧،٤٨
[2] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٤٤
[3] أحمد رجب محمد على، "المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي"، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٠م. ص١٩
[4] روى الحديث: أحمد وأبو داود.
[5] روى الحديث: أحمد وأبو داود.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة"[1]. والأفضل لهن الصلاة في بيوتهن، لما روي عن أم حميد الساعدية أنها جاءت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت: يا رسول إني أحب الصلاة معك، فقال (صلى الله عليه وسلم): "قد علمت، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة"[2].

وفي إجابة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية على سؤال حول وضع السترة بين الرجال والنساء في صلاة رمضان جاء فيه ما نصه: "لا بأس بوضع سترة من القماش ونحوه بين الرجال والنساء في صلاة رمضان وغيرها من الصلوات فريضة كانت أو نافلة ولو صلين صفوفا خلف صفوف الرجال بلا سترة فذلك جائز وعليهن الحجاب في هذه الحالة وهو الذي كان عليه العمل في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (رضي الله عنهم) والأمر في ذلك واسع والحمد لله"، كما ورد إلى اللجنة سؤالا نص على: "هل يباح إقامة حاجز منفصل بين الرجال والنساء داخل المسجد وهذا الحاجز لا يكون بناء إنما يكون معمولا بالخشب الذي ينجزه النجار أو يكون ستارا من الثوب طول مترين أو أقل، النساء يضبطن جميع حركات الإمام، ويستمعن قراءته بكل وضوح غاية ما هناك لا يرين الرجال في أثناء الصلاة رؤية حقيقية هذا كله خوفا من الوقوع في المحظور واختلاط النساء بالرجال الممنوع شرعا وخاصة في أثناء الصلاة؟ هذا وقد أجابت اللجنة بما نصه: "يباح إقامة حاجز منفصل بين الرجال والنساء داخل المسجد على نحو ما ذكره السائل لأن هذا هو الأصل، لما فيه من المصلحة، وهي انفصال النساء عن الرجال كل في موضع صلاته فلا

[1] روى الحديث مسلم وأبو داود والنسائي.
[2] روى الحديث: أحمد والطبراني.

يفتتن بعضهم ببعض فينشغلوا بذلك عن صلاتهم، وربما أدى إلى الفتنة خارج المسجد"[1].

كذلك يندب اتخاذ باب خاص للنساء، فقد روى أبو داود عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**لو تركنا هذا الباب للنساء**" قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[2].

إذن لابد وأن يراعى في تخطيط المساجد وتصميمها وبنائها أن يتخذ باب خاص للنساء، لدخولهن وخروجهن حتى لا يختلطن بالرجال، فيؤدي ذلك إلى فساد الأمة وضياع أخلاقها تحت ستار العبادة، وإذا أقرن تخصيص باب لهن بما روي من تأخير صفوفهن وسرعة خروجهن وتأخر الرجال في الخروج، حتى يتمكن من الانصراف، تمكنت الأمة من المحافظة على أخلاقها وابتعدت عن مواطن الشبه وأعطت درسا في منع الاختلاط حتى في العبادة بين من هم أبعد الناس عن التهمة[3]، فعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: "كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ويمكث هو في مقامه يسيرا قبل أن يقوم، قال نرى والله أعلم إن ذلك لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن أحد من الرجال"[4].

ولأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: "**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**"[5]، فقد سئل الشيخ ابن جبرين (حفظه الله) عن ما إذا كان هناك حائل ساتر بين الرجال والنساء في المسجد فهل ينطبق قول الرسول (صلى الله عليه

[1] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص121

[2] روى الحديث: أبو داود في الصلاة، باب التشديد في خروج النساء إلى المساجد.

[3] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص17

[4] روى الحديث: البخاري في كتاب الآذان.

[5] روى الحديث: الجماعة إلا البخاري.

وسلم في هذا الحديث أم يزول ذلك؟ فأجاب: "يظهر أن السبب في كون خير صفوف النساء آخرها هو بعده عن الرجال فإن المرأة كلما كانت أبعد عنهم كان ذلك أصين لها وأحفظ لعرضها وأبعد لها عن الميل إلى الفاحشة لكن إذا كان مصلى النساء بعيدا عن الرجال ومفصولا بحاجز أو سترة منيعة وإنما يعتمدون في متابعة الإمام على المكبر فإن الراجح فضل الصف الأول لتقدمه وقربه من القبلة ونحو ذلك"، وبالتالي فإنه في حال تخصيص مصلى خاص بهن في المسجد، فإن تحديد أفضل الصفوف، بالنسبة للنساء ومن أين يجب أن تبدأ هل من أمام المصلى الخاص بهن أو من خلفه يحكم طريقة اتخاذ المداخل واختيار طريقة الدخول التي تيسر عملية الدخول وتمنع إشغال المصليات من قبل المتأخرات منهن[1].

المقصورة

المقصورة في اللغة من قصر الشئ يقصره قصرا أي حبسه، وتجمع على مقاصير، ومنها مقصورة الجامع أو المسجد، وسميت بذلك لأنها قصرت على الخليفة أو الإمام دون الناس[2]. وتعرف المقصورة بأنها حجرة تبنى في صدر المسجد على يمين القبلة أو يسارها لكي يصلي فيها الحاكم، والقصد منها حمايته من الناس، وأشهر المقاصير تلك التي بناها الأمير محمد الأموي الأندلسي في مسجد قرطبة الجامع[3].

وقد اختلف المؤرخون فيما بينهم في تحديد أول من استخدم المقصورة، فمنهم من قال إنها ترجع لعثمان بن عفان (رضي الله عنه)،

[1] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص١٢١،١٢٢

[2] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٤١

[3] منظمة العواصم والمدن الإسلامية، "أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة"، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة، ١٩٩٠م.

وأرجعها بعضهم لمعاوية بن أبى سفيان، في حين قال بعضهم إن زياد بن أبيه هو أول من استخدمها، وذكر بعضهم أن مروان بن الحكم أول من فعل ذلك، ومع اختلافهم حول نشأتها فقد اتفقوا على أن ظهورها كان مرتبطا بالنواحي الأمنية للخليفة وخوفا على حياته من الاغتيال أثناء الصلاة، كما اتفقوا على أنها لم تكن موجودة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنها أدخلت على عمارة المسجد بعد عهده (صلى الله عليه وسلم)[1].

إن اتخاذ المقصورة في المسجد لم يعهد إليه في الصدر الأول، وقال أبو العباس القرطبي في شرح مسلم: لا يجوز اتخاذها ولا يصلى فيها لتفريقها الصفوف وحيلولتها من التمكن من المشاهدة. وروي أن الحسن البصري وبكر المزني كانا لا يصليان فيها، لأنها أحدثت بعد النبي (صلى الله عليه وسلم)، والمسجد مطلق للجميع، حيث لا يمكن لعامة الناس الصلاة فيها[2].

كما روي عن الإمام أحمد كراهية الصلاة فيها، لأنها مغصوبة بقصرها على فئة دون غيرهم، والصلاة في الموضع المغصوب لا تقل عن الكراهة، وهذا ما يتفق مع قول ابن عمر والأحنف والشعبي وإسحاق والقرطبي، ورخص أنس والحسن والحسين والقاسم وسالم ونافع (رضي الله عنهم) فيها وعليه فالصلاة فيها جائزة غير مكروهة وبه قال الظاهرية، قالوا: وعلى من أمكنه دخولها أن يصل الصفوف فيها لأن إكمال الصفوف فرض، وقد روي عن بعض الصحابة صلاتهم فيها. وبناء المقصورة في المسجد مرجعه الحاجة والعرف، لأن بناء المساجد من حيث الشكل ليس أمرا توقيفيا[3].

---

[1] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٤١

[2] حسين مؤنس، مرجع سابق. ص١٤٩

[3] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١٥

ظهر المسجد وما تحته

ما فوق المسجد يأخذ حكم المسجد، ولهذا جاء في "المدونة" النهى عن بناء بيت فوقه للسكنى، لأن ذلك يؤدي إلى أن يمارس فيه ما يمنع في المسجد، ومن السلف من كان يعتبر أن لسطح المسجد نفس الحرمة، قال مالك: كان عمر بن عبد العزيز يفرش له على ظهر المسجد في الصيف فيبيت فيه ولا تأتيه فيه امرأته ولا تقربه وكان فقيهاً. وقد عقد الإمام القرافى فرقا بين الأهوية تكون فوق الأبنية وبين ما تحتها ذكر فيه "أن حكم الأهوية تابع لحكم الأبنية، فهواء الوقف وقف .. وهواء المملوك مملوك وهواء المسجد له حكم المسجد، فلا يقربه الجنب، ومقتضى هذه القاعدة أن يمنع بيع هواء المسجد والأوقاف إلى عنان السماء[1]".

وذكر أيضا أن ما تحت الأبنية إلى جهة السفل يختلف حكمه عن ذلك على ظاهر المذهب المالكي، ناقلا عن سند بن عنان (٥٤١هـ) صاحب كتاب الطراز "أن المسجد إذا حفر تحته مطمورة يجوز أن يعبرها الجنب والحائض، ولو أجزنا الصلاة في الكعبة وعلى ظهرها لم نجزها في مطمورة تحتها"، وضبط القرافي لذلك قاعدة شرعية، وهي "أنه يملك لأجل الحاجة، وما لا حاجة فيه لا يشرع فيه الملك، فلذلك لم يملك ما تحت الأبنية من تخوم الأرض بخلاف الهواء إلى عنان السماء .. والمساجد والكعبة لما كانت بيوتا كانت المقاصد فيها لمن يدخلها متعلقة بهوائها دون ما تحتها كالمملوكات"[2].

وفى الإجابة عن سؤال حول المساجد التي توجد أسفل العمارات السكنية، أجابت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية: "إذا أنشئ المسجد مستقلا كان سقفه وما علاه تابعا له جاريا عليه حكمه، فلا يجوز بناء سكن عليه لأحد. أما إذا كان المسجد طارئا

---

[1] محمد بن عبد الهادي أو الأجفان، مرجع سابق. ص٣٦،٣٧

[2] محمد بن عبد الهادي أو الأجفان، مرجع سابق. ص٣٧

على المسكن، مثل لو أصلحت الطبقة السفلي من منزل ذي طبقات وعدلت لتكون مسجداً جاز إبقاء ما عليه من الطبقات مساكن لسبق تملكها على جعل الطبقة السفلى مسجداً، فلم يكن ما فوقه تابعاً له"[1].

على أنه وفى العصر الحديث ولما وفرته الآلات الحديثة من القدرة على الانتفاع بما في أغوار الأرض، ودعت الحاجة إلى ذلك في بعض المجتمعات ذات الكثافة السكانية العالية مع ضيق الأرض، فيمكن استغلال ما تحت المسجد لتوسعته من الجانب السفلي، وحينئذ يكون لما تحته حكم ما فوقه[2].

المداخل

تملى وظيفة المسجد كمكان للصلاة ضوابطا خاصة في تحديد موضع المداخل الخاصة به، فعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر**"[3]، كما كره أهل العلم تخطي الرقاب يوم الجمعة وشددوا في ذلك، فعن عبد الله بن يسر (رضي الله عنه) قال: جاء رجل يتخطى رقاب المصليين يوم الجمعة والنبي (صلى الله عليه وسلم) يخطب فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**اجلس فقد آذيت وآنيت**"[4] (أي أبطأت وتأخرت). وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم**"[5].

[1] مجلة التوعية الإسلامية، العدد ٢١٧، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ. ص٢٣٨

[2] محمد بن عبد الهادي أو الأجفان، مرجع سابق. ص٣٧

[3] روى الحديث: روى أبو داود والنسائي والبيهقي.

[4] روى الحديث: أبو داود والنسائي.

[5] روى الحديث: الترمذي.

من هنا يفضل أن تكون المدخل في الحائط الخلفي للمسجد، يؤكد ذلك ما روي عن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم): "أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر"[1]. يضاف إلى ذلك ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حرمة المرور بين يدي المصلى، حيث قال: "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه"[2]، وقد قيل أن عدم تحديد ماهية الأربعين هل هي ساعة أم يوما أم شهراً .. يدل على عظم الأمر. وإن كان هناك خلاف في الراي حول هل المقصود هنا تحريم المرور بين يدي المصلى في أي مكان بالمسجد أم بالنسبة للمصلي الذي يصلي إلى سترة، فإن ما يمكن أن يستدل به هنا هو ضرورة أن تكون مداخل المسجد في الحائط الخلفي أو في الجزء المتأخر من الحائطين الجانبيين، ولا يجب وضع المداخل في حائط القبلة، وهذا ما كان عليه مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند بنائه، حيث كان له ثلاثة أبواب أحدهما في الحائط الخلفي والآخران في الحائطين الجانبيين، شكل رقم (٤).

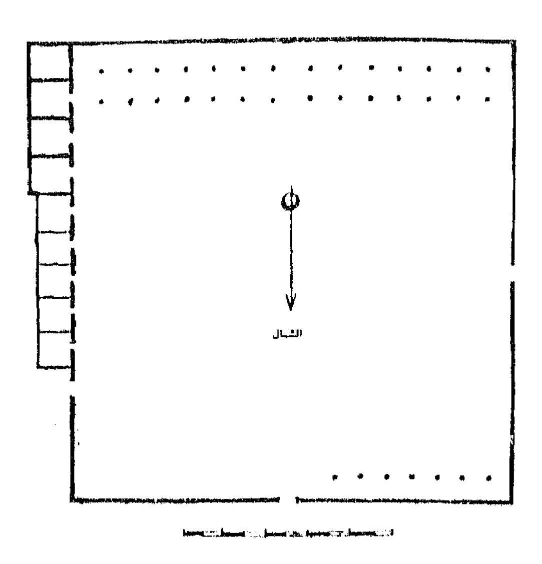
ويجوز اتخاذ الأبواب لمداخل المسجد، يدل عليه "ما رواه البخاري في صحيحه تعليقاً، قال: قال ابن أبى مليكة لابن جريج: لو رأيت مساجد ابن عباس وأبوابها"، وهذا دليل على أن الأبواب كانت تتخذ في عهد الصحابة من غير نكير. قال ابن العربي: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما ترك اتخاذ الباب للمسجد لقصر النفقة، وذلك لأن المسجد اتخذ له باب فيما بعد، وكذا فعل خلفاؤه الراشدون، حيث اتخذوا له الأبواب بمحضر من الصحابة، ولم يذكر لأحدهم مخالفة[3].

---

[1] روى الحديث: أبو داود والنسائي والبيهقي.

[2] روى الحديث: الجماعة.

[3] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١٦



شكل رقم (٤) المسجد النبوي في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)[١]

أما عن مسألة غلق أبواب المسجد فقد اختلف العلماء في ذلك على قولين: القول الأول: يجوز إغلاقها إذا خيف على المسجد أو متاعه أو جيرانه، وإن لم يكن ثمة خوف فالسنة فتح أبواب المساجد، قال بهذا جمهور العلماء. والقول الثاني: لا يجوز إغلاق أبواب المساجد قال به بعض الحنفية. لهذا فالقول بإغلاق أبواب المساجد هو الصواب، ما دامت علة غلقها موجودة، بشرط ألا يكون فيه مضرة بالآخرين، ويكون ذلك للحاجة كأن يخشى على المسجد وأثاثه وأدواته وتوابعه من الضرر أو السرقة[٢].

النوافذ

عندما بنى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مسجده لم يكن به فتحات في حائط القبلة أمام المصلين، اللهم إلا فتحات في ظهر المسجد خلف

[١] المعهد العربي لإنماء المدن، مرجع سابق. ص١٠٤

[٢] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١٧

المصلين للإضاءة[1]، والأغلب أن ظلة الصلاة كانت تفتح بكامل طولها الموازى للقبلة على ظلة الصلاة.

روى البيهقي في سننه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "أمرنا أن نبني المساجد جمّا، والمدائن شرفا" والجم هو البناء الذي لا شرفة له وبهذا أخذ عامة أهل العلم، ذلك لأن المساجد محل للعبادة والصلاة والذكر، فالأولى أن تجتنب كل ما يشغل المصلى، وليس معنى هذا أن تجعل المساجد مظلمة ولكن يمكن أن ترفع النوافذ بحيث تكون وسيلة إضاءة، وأن لا يرى من بداخل المسجد من هو بخارجه[2].

إن وضع النوافذ يؤثر بشكل قاطع على وظيفة المسجد، وبالتالي على المصلى أثناء تأدية الصلاة، ومن هنا تنبع أفضلية عدم وجود النوافذ في مستوى نظر المصليين، وبشكل خاص في حائط القبلة أو الحوائط الجانبية، ومن هنا يتحدد الاتصال بين حيز الصلاة والفراغ الخارجي من خلال الانسيابية العلوية من خلال فتحات في السقف أو من الحوائط الجانبية في مستوى نظر أعلى من المصلين أو في الحوائط الخلفية[3].

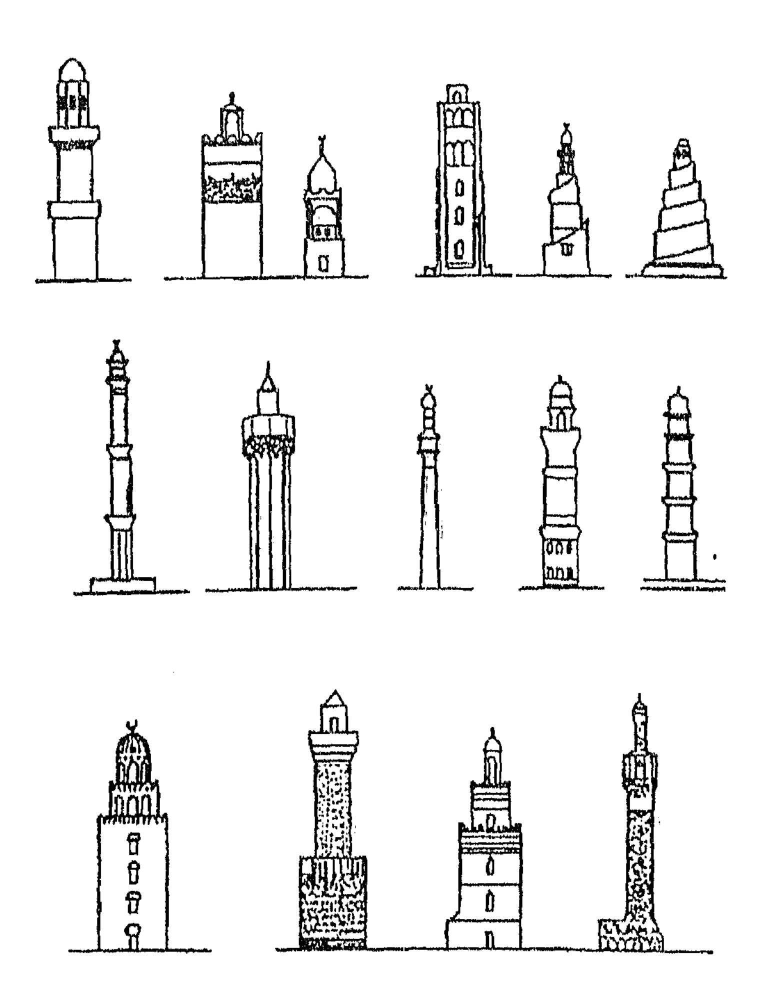
المآذن

استعمل المؤرخون المسلمون الكلمات التالية للدلالة على نفس المعنى: المئذنة، الميذنة، المنار، المنارة، الصومعة، وجميع هذه الكلمات وإن اختلفت في ألفاظها فإنها تتفق في دلالاتها، والمقصود بها في جميع الأحوال البناء المرتفع الذي يرتقي إليه المؤذن ليعلن دخول وقت الصلاة من خلال رفع الأذان، شكل رقم (٥).

[1] عبد العزيز أبا الخيل، مرجع سابق. ص١١

[2] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١٤

[3] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير فى تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦٢



شكل رقم (٥) مجموعة من المآذن التي ظهرت في المساجد[1]

وتعد المئذنة عنصرا إضافيا على عمارة المسجد، حيث أنها لم تكن معروفة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فلم يكن بالمسجد النبوي في نشأته الأولى مئذنة، وقد كان بلال بن رباح (رضي الله عنه)

[1] علي موران هشام، "المعايير التخطيطية والأسس التصميمية للمساجد في المدن الإسلامية"، ندوة عمارة المساجد، م٥، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ص١٧١

يصعد إلى سطح بيت مرتفع مجاور للمسجد لأسرة من بني النجار ليصل صوته إلى أبعد بيت في حدود المستطاع، كما قيل أنه كانت في إحدى الدور القريبة من المسجد عمود مربع يطلق عليه "اسطوانة" كان يرقى عليها ليؤذن، وكانت بمثابة أول مئذنة في الإسلام، وقد أعطت تصورا لشكل المئذنة فيما بعد، أما عن أول مئذنة فقد بناها زياد بن أبيه (عامل معاوية بالعراق) في جامع البصرة عام ٤٥هـ[١].

وقد اشترط العلماء شروطا لو توفرت في المنارة كان لها حكم المسجد وهي: أن تكون مبنية على ظهره، أو في رحبته المتصلة به وأن تكون خارج المسجد منفصلة عنه، أما إن كانت خارج المسجد وملتصقة به وبابها في رحبته، فاختلف الفقهاء في إعطائها حكم المسجد على قولين: القول الأول: أنها تأخذ حكم المسجد وهذا قول الجمهور، والقول الثاني: أنها لا تأخذ حكمه وليست منه وهو المشهور عن مالك (رحمه الله)، وبه قال بعض الشافعية والمذهب عند الحنابلة[٢].

وبالنظر والتحليل لشخصية المئذنة كعنصر معماري خاص بالمسجد، نلاحظ أنها قد ارتبطت بالمسجد ورسخت وجودها اللصيق به على مر الزمن، حتى أصبحت رمزا لا غنى عنه وعلامة مرئية للقاصي والداني، ونقطة بصرية مؤكدة لملامح وشخصية المدينة الإسلامية، لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل وجودها ضمن عناصر المسجد، مهما تقلص دورها الوظيفي بسبب انتشار مكبرات الصوت، ولكن تبقى وظيفتها الروحية[٣].

وبما أن المآذن قد بنيت لغرض الأذان وإسماع المجاورين صوت المؤذن، فينبغي أن يحافظ على هذا المقصد شكلا ومضمونا بعيدا عن

---

[١] محمود حسن نوفل، "المعايير التصميمية لعمارة المساجد"، ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، الرياض، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩هـ. ص٨٣

[٢] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١٣

[٣] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٨٣،٨٤

التكلف الذي يتعارض مع أحكام الإسلام من حيث عدم المبالغة والإسراف والتكلف[1].

المنبر

المنبر في اللغة هو الشيء المرتفع، أما مفهوم المنبر كعنصر معماري وظيفي فقد ظهر في العمارة المصرية القديمة وعمارة الإغريق، أما في الإسلام فقد كان مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو أول مسجد يظهر فيه عنصر المنبر، حيث كان النبي (صلى الله عليه وسلم) في أول الأمر يجلس على جذع نخلة قصير بالمسجد ليخطب في الناس، ورأى أحد الصحابة ويدعى تميم الداري (رضي الله عنه) أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتألم من جلوسه على الجذع فأشار عليه بان يصنع له منبراً، حيث قطع بعض خشبات الأثل وصنع له درجتين ومقعد وكان عرض المنبر ذراعاً (٥٠ سم) وطوله ذراعين (١٠٠ سم) وارتفاعه ذراعين (١٠٠ سم)[2]، وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة[3]. ووجود المنبر في المسجد سنة ينبغي فعلها، يشهد لذلك قول الحق تبارك وتعالى: "**..وتركوك قائماً..**"[4](أي قائماً يخطب) ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن قيام الخطيب على المنبر أو المكان المرتفع شرط إذا خطب، قاله بعض العلماء[5]، وما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: "صليت مع النبي (صلى الله عليه وسلم)

---

[1] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١٣

[2] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٩١

[3] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص٩

[4] سورة الجمعة: ١١

[5] عبد الرحمن بن محمد الحمد، "خطبة الجمعة في الكتاب والسنة"، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ. ص١٥

أكثر من ألفي صلاة يخطب قائماً"، وقال الشافعي في الأم: "كان أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) يفعلان ذلك، ويجب ألا يُغالي في المنابر وأفضلها ما كان من خشب ويصح اتخاذها من اللبن وغيره وكذلك من المواد المعدنية ووضع الكرسي بدل الدرج ليستريح عليه الخطيب جائز"[١]. وقد بوب البخاري لذلك: باب الخطبة على المنبر[٢].

وذهب الزركشي في إعلام الساجد (ص٣٧٤) إلى أنه لا يستحب أن يكون المنبر كبيراً لئلا يشغل جزءاً كبيراً من مساحة المسجد، ولهذا يفضل بعض العلماء المنبر المتحرك على الثابت، أي الذي يحرك لصق الجدار إذا لم تكن له حاجة، أو الذي يرد وراءه في خزانة له بعد انتهاء الخطبة[٣]. خصوصاً إذا علمنا أن الاحتياج للمنبر يكون مرة واحدة في الأسبوع، في خطبة الجمعة لصلاة واحدة (صلاة الجمعة) مقابل ٣٤ صلاة (وهي الأوقات العادية) لا تحتاج للمنبر، أي بمعدل ١: ٣٤ مرة في الأسبوع.

وقد حدد الفقهاء موقع المنبر بالنسبة للقبلة، فقالوا يستحب جعله على يسار القبلة تلقاء يمين المصلى إذا استقبل، وقال الصيمري والدرامي وغيرهما مما وقع في شرح المهذب للنووي من استحباب جعله على يمين المحراب سهواً إلا أن يريد يمين مستقبله، قال الصيمري وينبغي أن يكون بين المنبر والقبلة قدر ذراع أو ذراعين قال ذلك الرافعي[٤]. ولا يكون المنبر عالياً جداً، ولا يزخرف بالزخارف[٥]. كما لا تفضل المنابر التي لها أبواب خشبية مرتفعة لأنها تحجب رؤية الإمام أثناء الخطبة. شكل رقم (٦).

---

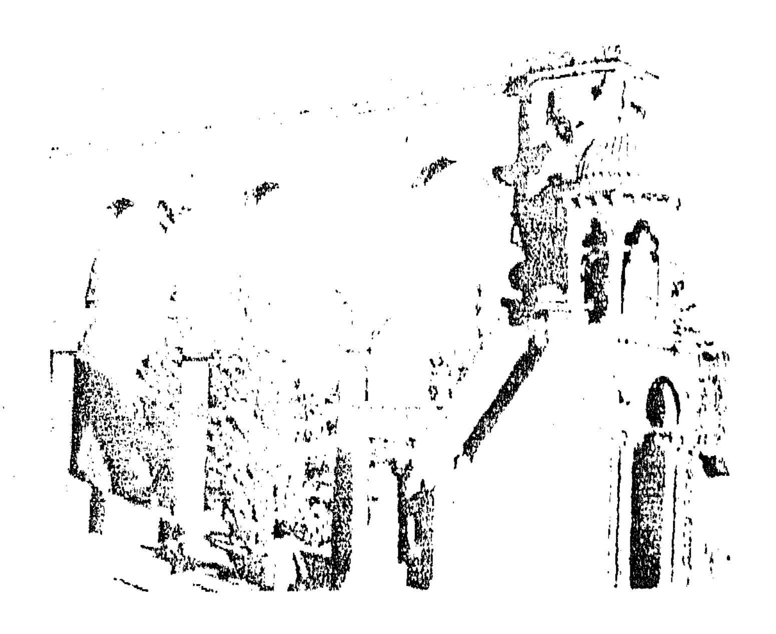
[١] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق، ص١٠

[٢] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٤٢.

[٣] حسين مؤنس، مرجع سابق. ص٨٤

[٤] محمد عبد الستار عثمان، "نظرية الوظيفية .."، مرجع سابق. ص٣٦

[٥] إبراهيم بن صالح الخضيري، مرجع سابق. ص٥١،٥٢



شكل رقم (٦) منبر برهان الدين بالحرم القدسي الشريف[١]

المحراب

المحراب هو صدر البيت وأكرم موضع فيه، وسمى القصر محراباً لشرفه وعظمه، ومحراب المجلس صدره وأشرف موضع فيه[٢]، وهو اسم لمجلس الملك لانفراد الملك فيه، وتباعد الناس عنه، وسمى محراب المسجد بذلك لانفراد الإمام فيه، وقيل سمى بذلك لأن المصلى يحارب الشيطان فيه بطاعة الرحمن[٣].

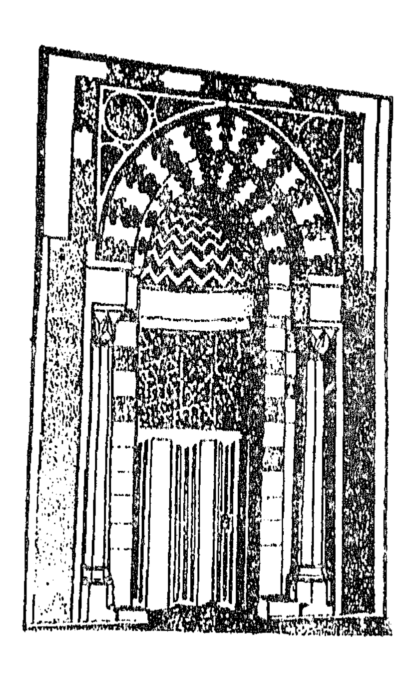
---

[١] المعهد العربي لإنماء المدن، مرجع سابق. ص٢٠٢

[٢] حسين مؤنس، مرجع سابق. ص٧٥، ٧٦

[٣] محمد عبد الستار عثمان، "نظرية الوظيفية .."، مرجع سابق. ص٢٧

وقد تعارف العلماء على إطلاق كلمة "المحراب" على جدار القبلة، شكل رقم (٧)، واستعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحربة والغزة في تحديد اتجاه القبلة أثناء الصلاة في الفضاء[١].



شكل رقم (٧) محراب جامع سنان باشا بالقاهرة[٢]

وقد أثبتت الدراسات الأثرية الحديثة أن بناء المحراب في هيئة مجوفة بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة كان مع بداية إنشائه في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقد اعتمدت هذه الدراسات على روايتي كل من ابن فضل الله العمري، والسمهودي[٣]. فقد جاء في كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (٧٤٠هـ/١٣٤٠م) لابن فضل الله العمري:

[١] إبراهيم بن صالح الخضيري، مرجع سابق. ص٤٤
[٢] المعهد العربي لإنماء المدن، مرجع سابق. ص١٩٢
[٣] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٣٨

"قال السهيلي: بنى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسقف بالجريد، وجعلت قبلته من اللبن. ويقال: بل من حجارة منضودة بعضها على بعض، وحيطانه باللبن، وجعلت عمده من جذوع النخيل" .. ثم قال: "قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي كانت هذه القبلة في شمالي المسجد لأنه (صلى الله عليه وسلم) صلى ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس، فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة" .. ثم قال عن مسجد قباء: "وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أسسه، كان هو أول من وضع حجراً في قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر. ثم أخذ الناس في البنيان" وفي هذا احتمال كبير بأن لفظ القبلة هنا يعني المحراب لا جدار القبلة فحسب كما يظن لأول وهلة[1]. أما ما جاء في حديث السمهودي عن خطوات بناء المسجد النبوي على الأرض التي وقع عليها الاختيار قال: فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنبشت. فصفوا النخل قبلة له: وجعلوا عضاديته من حجارة"، والعضادة تعني جانب فجوة أو تجويف، مما يعزز الظن بأن المقصود بذلك هو محراب مجوف[2]، ويؤيد فريد شافعي هذا الرأي بل ويستنتج من هاتين الروايتين أن المحرابين اللذين عملا في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مسجد المدينة ومسجد قباء كان كل منهما على هيئة بسيطة، وأغلب الظن أن وجه المحراب منهما كان يرتد عن جدار القبلة، أي كان على هيئة "مجوفة" أو "مخلقة" - على حد قول المؤرخين القدماء - وقد جاء هذا التجويف نتيجة لبناء جدار القبلة من اللبن الذي يتطلب أن يكون سمك الجدار كبيراً، بعكس المحراب الذي كان مشيداً بالحجر وهو الذي يسمح ببناء جدار أقل في السمك من المشيد باللبن، وهكذا يتكون

[1] فريد شافعي، "العمارة الإسلامية في مصر الإسلامية .. عصر الولاة"، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م. ص٥٩٨
[2] فريد شافعي، مرجع سابق. ص٥٩٨

التجويف من الفرق بين السمكين، كما أن المرجح أن هذا التجويف قد تطور مع الزمن وأخذ يزداد عمقه في كل مرة يهدم فيها المسجد النبوي[1]، ويبدو أن هذا الشكل المعماري للمحراب قد استمر بنفس الهيئة في تجديدات المسجد النبوي في عهد كل من الخليفتين عمر وعثمان (رضي الله عنهما)، حيث تشير رواية السمهودي إلى أن عمر بن عبد العزيز عند إعادة بناء محراب المسجد النبوي خاطب الصحابة والتابعين من أهل المدينة بقوله: "تعالوا احضروا بنيان قبلتكم، لا تقولوا غير عمر قبلتنا، فجعل لا ينزع حجراً إلا وضع مكانه حجراً"[2].

وقد اختلط الأمر على بعض الفقهاء والمؤرخين الذين اعتقدوا - على سبيل الخطأ - أن المحراب المجوف اقتبس من مباني دينية سابقة على الإسلام، وأنه لم يظهر إلى حيز الوجود في عمارة المساجد إلا في العصر الأموي[3].

وقد اختلف العلماء في حكم المحاريب في المساجد على قولين: القول الأول: يجوز اتخاذ المحراب في المسجد، وهذا الصحيح من مذهب الإمام أحمد[4]. والقول الثاني: يكره اتخاذ المحراب في المسجد، روي هذا عن عبد الله بن مسعود، وموسى الجهني، وأبو ذر، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) وسفيان الثوري والحسن[5]، وهي رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وهي مذهب الحنابلة[6].

ولا مانع من اتخاذ محراب بمفهومه الموجود، وهو إيجاد مكان في حائط القبلة ليكون مكاناً للإمام، أما من رأى كراهيته من أهل العلم فهو

[1] فريد شافعي، مرجع سابق. ص٥٩٨، ٥٩٩

[2] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٣٨

[3] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٤٠

[4] عن: الإنصاف ص٢/٢٩٨ (إبراهيم بن صالح الخضيري، مرجع سابق. ص٤٤).

[5] عن: ابن أبي شيبة، "المصنف"، ص٥٩، ٢/٦٠ (إبراهيم بن صالح الخضيري، مرجع سابق، ص٤٥).

[6] عن: الأنصاف، ص٢/٢٩٨ (إبراهيم بن صالح ي، مرجع سابق. ص٤٥).

- فيما يظهر - للمفهوم السابق للمحراب، وهو وجود مكان مرتفع عن المصلين ونحو ذلك[1]، أو لما اعتقده بعض المصليين من أنه قد دخل على عمارة المسجد من عمارة الكنائس.

وقد أصبح المحراب من العلامات المهمة في المسجد، إذ به يهتدي الناس إلى اتجاه القبلة، وخصوصاً إذا كانوا غرباء من غير أهل البلد.

وعلى أية حال لا يعد المحراب عنصراً رئيساً في المسجد يلزم تواجده بالهيئة الحالية التي هو عليها في المساجد، فيكفي أية علامة في حائط القبلة توضح اتجاه القبلة للمصليين.

المكتبة

نشأت فكرة المكتبة متطورة من مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث كان يمثل أول مدرسة في الإسلام لتعليم المسلمين مبادئ الدين الحنيف، وقد سار من بعده العديد من بناة المساجد، ولا يوجد حد أدنى أو أقصى أوصى به لمسطح المكتبة، إذ أن ذلك يتوقف على عدد الكتب المتاحة بالمسجد ومسطح المسجد، وقد أوصت بعض الدراسات أن لا يقل مسطحها عن ٩ متر مربع للمسجد المحلى و ١٦ متر مربع للمسجد الجامع، أما موقع المكتبة فيمكن أن يرتبط مباشرة ببيت الصلاة، ويجوز أن ينفصل عنه سواء في نفس الطابق أو أسفل منه مع توفير الإضاءة والتهوية المناسبة[2].

تأثيث المسجد

يعد فرش المسجد من الأمور المستحبة، فقد روى أبو داود عن أبي الوليد قال: سألت ابن عمر (رضي الله عنهما) عن الحصا الذي كان في المسجد، فقال: إنا مطرنا ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل

[1] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٤٢
[2] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٨٩

الرجل يجئ بالحصا في ثوبه فيبسطه تحته، فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلاته قال: "ما أحسن هذا"[1]. وقال الدمياطي أن أول من فرش الحصر في المساجد عمر (رضى الله عنه). وفى الصحيح أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يصلي على الحمرة، وهى شئ مصنوع من خوص على قدر الوجه واليدين[2].

لذا فإن إراحة المصلين بما يزيل عنهم حرارة الأرض، أو يقيهم الغبار، أو يزيل عنهم شدة الحر مما يثاب عليه من قصده[3]. ولهذا تطورت عملية فرش المسجد بالحصير ثم بالحجر أو الرخام ثم بالسجاد، ويفضل أن يكون السجاد ذو لون واحد وليكن الأخضر، لما في هذا اللون من راحة للنظر والنفس (كما سبق وأن ذكرنا) والبعد عن الزخارف وخصوصاً أن المصلي ينظر إلى موضع سجوده أثناء الصلاة لما ورد في النهي عن النظر إلى أعلى، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لتخطفن أبصارهم**"[4]، ومن هنا فلا يجب أن يشغل بصره وبالتالي قلبه شئ مما يلحق بالسجاجيد أو الأرضية من ألوان وزخارف.

الميضأة

استنبط أهل العلم جواز الوضوء في المسجد ما رواه أحمد وغيره عن رجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "حفظت لك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) توضأ في المسجد"[5]. ونقل ابن قدامة

---

[1] روى الحديث: أبو داود.
[2] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٥٥
[3] عبد الله بن عبد الله الجبرين، مرجع سابق. ص٢٢
[4] روى الحديث: أحمد ومسلم والنسائي.
[5] روى الحديث: أحمد.

(رحمه الله) في المغنى وضوء بعض الصحابة (رضي الله عنهم) في المسجد، وخاصة الخليفة أبي بكر الصديق وعمر (رضي الله عنهما)، وهذا الجواز ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة، أما المالكية والأحناف فقد كرهوا ذلك إلا أن يكون في موضع لا يصلى فيه[1]. وفي هذا دليل واضح على جواز إقامة الميضأة في المسجد شرط أن تكون في مكان بعيد عن موضع الصلاة. وعن ابن ماجة أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع"[2].

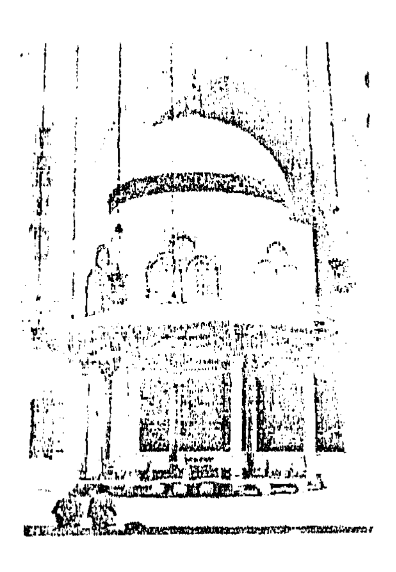
وقد كانت أماكن الوضوء توضع بقلب الصحن في المسجد، شكل رقم (٨)، وهذا ما كان عليه الحال في معظم المساجد التي بنيت في العصور الأولى، ثم تم إلحاقها بالقرب من دورات المياه للصلة الوثيقة بين الاستعمالين[3].

وقد طلب الفقهاء بأن تكون المسافة بين موضع جلوس المتوضئ والآخر كافية، بحيث لا يصل إليه شيء متناثر من الماء من قبل المتوضئين على يمينه أو يساره، وتنفيذاً لهذا الحكم الفقهي باعد المعماري بين أماكن جلوس المتوضئين كما زاد من عمق القناة الخاصة بتصريف ماء الوضوء كي لا يرتد بعضه على جسم المتوضئ أو على غيره[4].

---

[1] انظر المغنى ٣/٢٠٦، والمجموع ٢/١٧٤ (فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٣٤).
[2] روى الحديث: ابن ماجة، كتاب المساجد والجماعات، باب ما يكره في المسجد.
[3] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٨٥
[4] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٥٢

ويراعي في الصنابير المخصصة للوضوء مناسبتها لأعداد المصلين وخصوصا في أوقات الذروة، وتوصي بعض الدراسات بتوفير عدد أربعة صنابير لكل مائة مصل[1].



شكل رقم (٨) ميضأة مسجد ومدرسة السلطان حسن[2]

[1] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٨٦

[2] أحمد عبد الملك عفيفي، "الوظيفية في العمارة الإسلامية: دراسة تحليلية للقيم والاعتبارات الوظيفية والجمالية في تصميم الصحن ونافورة الوضوء الوسطية في المساجد"، ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ص١٠١

دورات المياه

يقول الحق تبارك وتعالى: "**لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**"[1]، وقيل أن الآية نزلت في مسجد قباء وسألهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن قوله يحبون أن يتطهروا قالوا إنهم كانوا يستنجون بالماء فقال هلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليكم به أو كما قال، والعبرة هو ذكر الطهور عند المسجد تبين وجوب توفر الماء الطهور عند المسجد[2].

إلا أن دورات المياه الملحقة بالمسجد لم تعرف إلا متأخراً وذلك عملاً بالمبدأ الفقهي الذي يفضل التطهر في المنازل ثم الذهاب للمسجد[3]، استناداً لما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئته والأخرى ترفع درجته"[4].

وعن مدى جواز بناء دورات المياه، فإنه يجوز بناء المطاهر والتوضئة منها وقد روى أبو عبيد في كتاب الطهور عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يتطهرون من مطاهر المسجد، وروي فعل ذلك عن علي وأبي هريرة (رضي الله عنهما)[5].

ومع تطور الزمن وكثرة أعداد المرتادين؛ نتيجة للزيادة السكانية وقلة أماكن الخلاء المفتوحة أصبح وجود دورات المياه بالمساجد أمراً

---

[1] سورة التوبة: ١٠٨

[2] عبد العزيز أبا الخيل، أساس عمارة البيت العربي والمسجد"، مجلة البناء، العدد ٤٣، الرياض، ١٩٨٨م. ص١٢

[3] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٨٤

[4] روى الحديث: مسلم.

[5] أعلام الساجد ص٣٨٣ (صالح بن ناصر الخزيم، مرجع سابق. ص٦٥).

مألوفا حيث لا ضرر ولا ضرار، وفيها ميزة لمن انتقض وضوءه ألا يفارق الجماعة ويمكنه إعادة الوضوء واللحاق بالجماعة بدلاً من العودة إلى مسكنه، والذي قد يكون بعيداً عن المسجد، شريطة أن لا يتنافى مع أمور شرعية وهي: ضرورة وضع دورات المياه على محور عمودي على اتجاه القبلة[1]، وذلك استنادا لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "إذا جلس أحدكم على حاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها"[2]، ولما رواه أبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا"[3]، كما ثبت عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه قال: "رقيت يوماً على بيت حفصة فرأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) على حاجته مستقبل الشام مستدبر الكعبة"[4]، وروى أبو داود والحاكم (رحمهما الله) أن مروان الأصفر قال رأيت ابن عمر (رضي الله عنهما) أناخ راحلته مستقبل القبلة يبول إليها، فقلت: "أبا عبد الرحمن أليس قد نهى عن ذلك" قال: "إنما نهي عن هذا في الفضاء فإذا كان بينك وبين القبلة شئ يسترك فلا بأس"[5].

ومن هذا يعلم أنه لا مانع من قضاء الحاجة في المباني وكنفها[6]، ومع إجازة بعض العلماء في كسر هذه القاعدة في حالة وجود ساتر من البنيان، إلا أن الثابت هو تفضيل الأخذ بها في حدود الإمكان، مع عدم وضع دورات المياه أعلى المكان الذي تقام فيه الصلاة[7].

كما يلزم الأمر الاهتمام بالمعايير التصميمية لدورات المياه من حيث العدد المناسب لأعداد المصلين وأوقات الذروة. مع الاهتمام

---

[1] المعهد العربي لإنماء المدن، مرجع سابق. ص١٦٨
[2] روى الحديث: أحمد ومسلم في كتاب الطهارة.
[3] روى الحديث: البخاري في كتاب الصلاة.
[4] روى الحديث: أحمد.
[5] روى الحديث: أبو داود في كتاب الطهارة.
[6] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص١١١
[7] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٨٤

بإضاءة وتهوية دورات المياه بشكل طبيعي، حتى لا يحدث انبعاث روائح كريهة تؤذي المصلين، كذلك من الأفضل فصل الدورات عن أماكن الوضوء تحقيقاً للطهارة.

المبحث الثالث: عناصر المسجد الإنشائية

ويدرس هذا الجزء العناصر الإنشائية المكونة للبنية المادية للمسجد كمبنى، وهي مواد البناء، والأرضية، والحوائط والأساسات، والأعمدة والركائز، والسقف.

مواد البناء

جاء في الصحيح أن بناء مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان من اللبن والطين، وسقفه من الجريد والخوص وأعمدته من جذوع النخيل[1].

وقد رأى الفقهاء ضرورة طهارة كل المواد المستخدمة في بناء المسجد، حتى وإن كان الماء، فقال القاضي أبو الطيب: "لا يجوز بناء المسجد باللبن المعجون بالماء النجس، ويطهر بالغسل ظاهرة دون باطنه على المعتمد"، وصريح قوله لا يجوز الحرمة لكن المعتمد كراهته كما نص عليه الإمام الشافعي في الأم، وكذا بَلّ الطين بما نجس وفرشه بالمسجد، وكان لهذا الحكم أثره في اختيار مواد بناء المسجد، ولاشك أن بناء المسجد بالآجر أو الحجر يجنب الوقوع في هذا المكروه، إضافة إلى أنه يزيد من متانة المسجد[2].

---

[1] عبد العزيز بن سعد بن حمد المقرن، مرجع سابق. ص٣٤

[2] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٥٢

وقد تطورت مواد البناء في العصر الحالي تطورات كبيرة مما أتاح مواد كثيرة للاستخدام وبإمكانات عالية، ويجوز استخدام أي منها طالما تتميز صناعتها بالطهارة والنقاء والمتانة والملاءمة.

الأرضية

يكره أن يقف الإمام أعلى من المأمومين، فإن كان للإمام غرض من ارتفاعه عن المأموم فإنه لا كراهة حينئذ، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: "رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) جلس على المنبر أول يوم وضع له فكبر وهو عليه ثم ركع ثم نزل القهقرى وسجد في أصل المنبر ثم عاد، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: "أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتتعلموا صلاتي"[1].

أما ارتفاع المأموم على الأمام فهو جائز، لما رواه سعيد بن منصور والشافعي والبيهقي وذكره البخاري تعليقا عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه صلى على ظهر المسجد بصلاة الإمام، وعن أنس (رضي الله عنه) أنه كان يجمع في دار أبي نافع عن يمين المسجد في غرفة قدر قامة منها لها باب مشرف على المسجد بالبصرة فكان أنس يجمع فيها ويأتم بالإمام، وسكت عنه الصحابة (رواه سعيد بن منصور في سننه). قال الشوكاني: "وأما ارتفاع المؤتم فإن كان مفرطا بحيث يكون فوق ثلاثمائة ذراع على وجه لا يمكن المؤتم العلم بأفعال الإمام فهو ممنوع بالإجماع من غير فرق بين المسجد وغيره، وإن كان دون ذلك المقدار فالأصل الجواز حتى يقوم دليل على المنع"[2].

كذلك أجابت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية حول سؤال هل يصح شرعا إقامة المسجد من أكثر من

---

[1] روى الحديث: أحمد والبخاري ومسلم.
[2] السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، مرجع سابق. ص١٧٩، ١٨٠

دورين؟ وقد أجابت اللجنة ما يلي: "يجوز أن يقام المسجد من دورين أو أكثر إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ويلاحظ أثناء الصلاة فيه تأخر المأمومين عن الإمام مع القرب منه حسب الإمكان للأدلة على أفضلية الصف الأول فالأول، والدنو من الإمام"، وفي سؤال آخر ورد إلى اللجنة جاء فيه الاستفهام عن حكم الصلاة في مسجد مبني من دورين، لا يوجد فيه سوى فتحة الدرجة فقط، وليست على رأس المحراب؟ أجابت اللجنة بجواز ذلك إذا كان هذا الطابق تابعا للمسجد، وينبغي أن توضع فيه فتحة قرب الإمام حتى يسمعوا صوت الإمام إذا انقطع التيار الكهربائي[1].

والظاهر من هذا أن وجود أكثر من مستوى (طابق) للمأموم لا يكره وليس فيه حرج، أما مستوى الأرضية في نفس الحيز والمستوى من المسجد فمن الأفضل أن تكون عبارة عن مستوى واحد لأن وجود عدة مستويات مختلفة داخل نفس الأرضية من شأنه أن يؤدى إلى عدم انتظام الصفوف وصعوبة وصل الصف حين يكن مصلى بجور آخر وكلاهما في مستوى مختلف.

الحوائط والأساسات

ترتبط الحوائط بأساسات المسجد، ويلزم الحوائط أساس تحت الأرض حتى تستقيم من الناحية الإنشائية سواء كان لها دوراً في حمل السقف (كما في نظام البناء بالحوائط الحاملة) أو كانت عبارة حوائط لتحديد الحيز من الناحية المادية وليس لها أي دور من الناحية الإنشائية (كما في نظام البناء بالإنشاء الهيكلي)، وقد جعل رسول الله (صلى الله

[1] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص١٠٧

عليه وسلم) أساس المسجد ثلاثة أذرع (١٥٠ سم)[١]. وحــائط المســجد مــن داخله وخارجه له حكم المسجد في وجوب صيانتــه وتعظيــم حرمتــه[٢].

الأعمدة والركــائز

ذكر الكثير من علماء النفس وعلمــاء أصــل الجنــس البشــرى أن مــن أهم حقوق المستمع أن يرى المتحــدث ويســمعه بوضــوح دون تشــويش أو عوائق، ومن أهــم حقــوق المتحــدث أن يــرى المشــاركين أو المســتمعين ويسمعهم بوضوح. كما أن مــن أهــم عنــاصر الاتصــالات الفعالــة مقابلــة المتحدث للمستمعين وجهاً لوجه، إذ لا يكفــي الاســتماع فقــط، بــل يفضــل من أجل استقبال الرسالة كاملة أن يشــاهد المســتمع بعينــه وضــع الجســم وإشارات اليدين وتعبيرات الوجه وتغــير نــبرات الصــوت، والــهدف مــن ذلك أن يستوعب كل ما يقوله المتحــدث بســهولة ووضــوح[٣].

وعن الصلاة بين السواري (الأعمــدة والركــائز الإنشــائية)، فقــد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضــي الله عنــهما): "أن النبــي (صلــى الله عليه وسلم) لما دخل الكعبة صلى بين الساريتين"، وكــان ســعيد بــن جبــير وإبراهيم التيمى وسويد بن غفلة يؤمون قومــهم بيــن الأســاطين (الأعمــدة)، وأما المؤتمون فتكره صلاتهم بينها عند الســعة بســبب قطــع الصفــوف ولا تكره عند الضيق، فعن أنــس (رضــى الله عنــه) قــال: "كنــا ننــهى عــن الصلاة بين السواري ونطرد عنــها"[٤].

روى النسائي والحــاكم وابــن خزيمــة عــن ابــن عمــر (رضــي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وســلم): "**مــن وصــل صفــاً وصلــه**

---

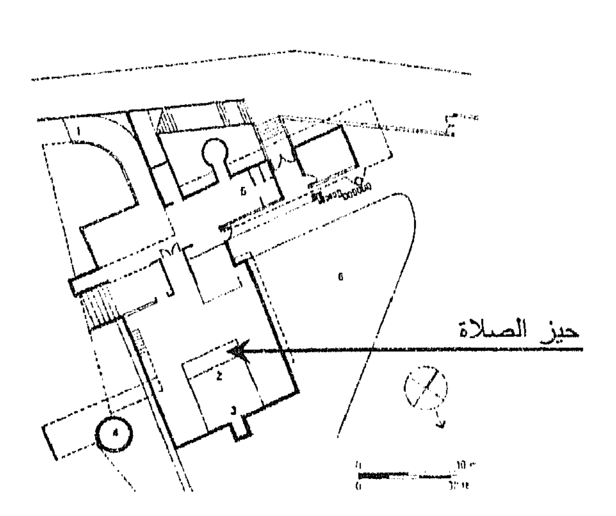
[١] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجــع ســابق. ص٩٥

[٢] جاد الحق على جــاد الحــق، "المســجد: إنشــاءً .. ورســالة .. وتاريخــا"، الأزهــر، القاهرة، ١٤١٦هـــ. ص٦٤

[٣] عبد العزيز بن سعد بن حمد المقــرن، مرجــع ســابق. ص٤٩

[٤] روى الحديث: الحاكم وصححــه.

الله، ومن قطع صفا قطعه الله"[1]، فليس من المستحب أن تكون الأعمدة عاملا في قطع صفوف المصلين والفصل بينهم، ولذا ينبغي أن تكون الأعمدة قليلة، وللحاجة فقط، وتترك إذا لم تدع إليها حاجة، وهو أكثر استحبابا من الناحية الشرعية حتى لا تنقطع الصفوف، وتتفرق الجماعة التي من الأهداف الرئيسة في الصلاة في المسجد، وهذا ما يراه بعض العلماء المعاصرين، وخصوصا مع تقدم هندسة عمارة المساجد وإمكان الاستغناء عن الأعمدة[2]، شكل رقم (٩).



شكل رقم (٩) المسقط الأفقي لمسجد شرف الدين الأبيض بالبوسنة[3]
(مثال على حيز للصلاة خال من الأعمدة)

---

[1] السيد سابق، "فقه السنة"، المجلد ١، مرجع سابق. ص١٨٣
[2] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١٤
[3] لوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٥٥

السقف:

عندما بنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسجده لم يكن للمسجد في بداية الأمر سقفا، فشكا المسلمون إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الحر، فأمر بعمل ظلة من ثلاثة صفوف من الأساطين، ويذكر السمهودي أن كل صف كان به ستة أساطين، ويذكر في موضع آخر أن أساطين المسجد كانت من جذوع النخيل وأن سقفه كان جريدا وخوصا[1].

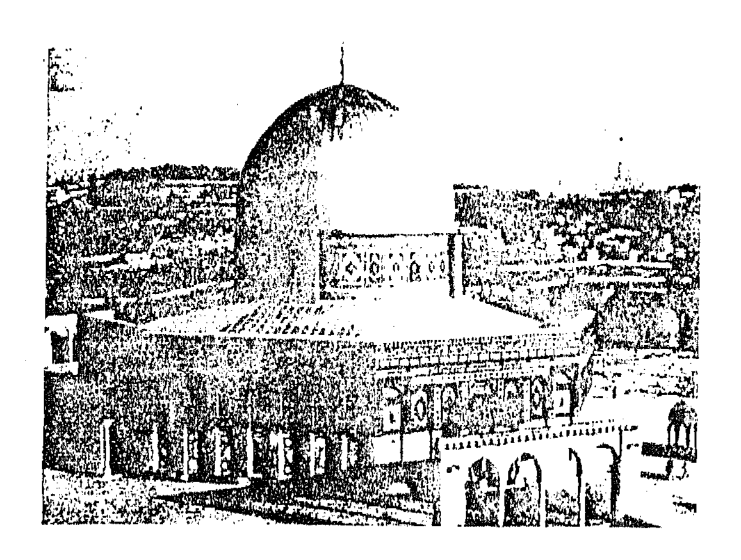
وعن أنس (رضي الله عنه) "أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خرج فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه؟ قالوا هذا لفلان رجل من الأنصار فجاء صاحبها فسلم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأعرض عنه وكرر ذلك مرارا فهدمها الرجل"[2].

ومع الأخذ في الاعتبار أن الشكل الطبيعي والمناسب سيكولوجيا للإنسان هو السقف الأفقي لما فيه من سهولة الإدراك والتوزيع الحسي العادل بين أجزائه، ومع تطور طرق الإنشاء والرغبة في تحقيق مسطح لحيز الصلاة خال من الأعمدة، فقد استخدمت القباب في عملية التسقيف في المساجد. وكانت قبة الصخرة التي أمر بها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٧٢ هـ هي أول قبة في الإسلام[3]. شكل رقم (١٠).

أما موقف العلماء من بناء القباب في المساجد فإنه لم يثر - منذ أيام بني أمية، والذين تعاقبوا على الخلافة من بعدهم - أي اعتراض من قبل العلماء على اختلاف مذاهبهم، ولعل في دليل سكوتهم عن هذا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن له موقف معين من اتخاذ القبة في المسجد، فلا هو رضي بها ولا هو عارضها وأما موقفه السلبي من القبة التي بناها أحد أصحابه فإنه كان يقصد منه منع الناس من اتخاذ المظاهر

[1] أحمد رجب محمد على، مرجع سابق. ص٢٠،٢١
[2] أخرج الحديث: الطبراني.
[3] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٨١

التي تتعارض ومبدأ المساواة الاجتماعية فيما بينهم، وكما بنيت القباب في المساجد بهذه الصورة، فقد بنيت أيضا فوق القبور ولهذا كره العلماء بناء القباب في المساجد. وعلى أي حال ينبغي أن لا يتوسع في بنائها، وما يبنى منها ينبغي أن يخضع للحاجة كأن يكون من أجل الإضاءة أو التهوية فقط[1]؛ لإمكانيات القبة من الناحية المعمارية والإنشائية في عمل فتحات في الجزء المسمى "رقبة القبة"، وهو الجزء الذي تلتقي القبة من خلاله بالعناصر الإنشائية الحاملة لها.



شكل رقم (١٠) قبة الصخرة

وبشكل عام فإنه وطالما ليس هناك نص على سقف محدد للمسجد، فهذا متروك للفكر المعماري للتوصل إلى أشكال جديدة، بشرط أن تكون غير مفتعلة أو مكلفة ولا تحتوي على تشكيلات يمكن أن تلهي الجالسين في المسجد بالتمعن فيها.

[1] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشرعية لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص١١

المبحث الرابع: هيئة المسجد المعمارية

تعرف هيئة المسجد المعمارية بأنها مجموعة السمات والخصائص التي تكسب بناء المسجد صفات تميزه كمبنى عن غيره من المباني، وتتبع هذه الهيئة من الوظيفة والمضمون التصميمي والشكل العام للعناصر المعمارية والإنشائية وتفاصيلهما المختلفة.

إن الذي حدد هيئة المسجد المادية أنها جاءت من الدين الإسلامي، حيث جوهر الإنسان أهم من ظاهره، اما روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"**[1].

ويمكن فهم هيئة المسجد المعمارية من خلال التعرف على الهيئة المعمارية الداخلية والهيئة المعمارية الخارجية.

الهيئة المعمارية الداخلية

الهيئة المعمارية الداخلية للمسجد هي المكون الفراغي والتشكيلي والإنشائي للمسجد من الداخل، وعليها أهمية كبرى نظرا لارتباطها بالنشاط الوظيفي الذي يقام في المسجد من عبادات وأنشطة تعبدية واجتماعية أخرى، فعلى مدى نجاح هذه الهيئة في التوافق مع متطلبات التصميم المعماري للمسجد يتوقف نجاح المسجد في توفير وتهيئة الجو المناسب للعبادة وغيرها من الأنشطة، وتتميز هيئة المسجد المعمارية الداخلية بأنها تخضع للمحددات التالية:

* **بساطة الهيئة الداخلية:** عندما نتأمل مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في صورته الأولى، نجد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد استوحى هيئة المسجد الداخلية وخطته من روح الإسلام، فالإسلام

---

[1] روى الحديث: مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه.

دين سهل واضح، وهو طريق بين العبد وخالقه، والمسجد ليس إلا مكان يلتقي فيه العبد بخالقه، وهو مجرد مساحة نظيفة مستوية مطهرة يحيط بها سور وظيفته تعيين حدودا ذلك المكان المطهر المخصص للصلاة، ولم تكن هناك حاجة لتغطية هذه المساحة بسقف، فاكتفى بتسقيف جزءا منها - في مقدمتها - على نحو بسيط أيضا، جذوع نخيل ثم غطى ما فوقها بعريش (سقف) من خشب وغصون شجر[1].

ومما يثير الدهشة أنه وعلى الرغم من تعدد وظائف المسجد منذ بناء مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فإن الأمر لم يغير شيئا في برنامج المسجد المعماري، فقد ظل حيز الصلاة هو الحيز المعماري المرن الذي يمكنه أن يتلاءم في مرونة تامة مع أي وظيفة أخرى، فصالة الصلاة هي نفسها مكان تلقي العلوم حيث يجلس الإمام ومن حوله طلاب العلم، وهي نفسها قاعة المحكمة حيث يجلس القاضي ومن أمامه الجمهور ومن خلفه الهيئة المنفذة للأحكام[2].

ولأن الإسلام يهتم دائما بالجوهر قبل المظهر، فإننا نلاحظ الاهتمام الواضح بالعمارة الداخلية عن الخارج ليس في عمارة المسجد فحسب بل حتى في المباني العامة الأخرى والسكنية، ولا يتوقف الاهتمام على التشكيل المعماري الداخلي المادي فقط بل يشمل الوظيفة التي يؤديها المبنى، بجانب التركيز على روح المبنى المستمدة من هذه الوظيفة.

* **شكل المسقط الأفقي للمسجد:** مما يجدر الإشارة إليه أنه من الأمور المنهي عنها شرعا التشبه باليهود والنصارى في عملية البناء وخصوصا بناء المساجد على شكل الصليب أو على هيئة الأشكال التقليدية المعروفة للكنائس البيزنطية أو المعابد اليهودية، أو على هيئة معابد أهل الديانات الباطلة الأخرى. فقد روى أبو سعيد الخدري (رضي

[1] حسين مؤنس، مرجع سابق. ص٥٧

[2] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦٤

الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم". قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: "فمن"[١]. ومما يثير الدهشة أنه ورغم هذا النهي الصريح إلا أنه قد وجدت بعض المساجد ومساقطها الأفقية على هيئة الكنيسة البازيليكية، مما يدل على قلة العلم بهذه الضوابط، أو أنه قد تم الاستعانة في بناء تلك المساجد بمعماريين ليسوا بمسلمين. ومما يؤسف له أن مثل هذه الأمور هي التي يرتكن إلى المستشرقون في نسب بعض جوانب العمارة الإسلامية للعمارات السابقة.

* **توجيه المسجد:** لا يترك وضع المسجد في الموقع العام طبقا لوجهات نظر شخصية ترتبط بفكر المصمم أو ظروف قطعة الأرض، ولكن طبقا لمحدد الاتجاه نحو القبلة، مصداقا لأمر الله تبارك وتعالى: **"قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون"**[٢]. قال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله): استقبال القبلة شرط لصحة الصلاة، فمن صلى إلى غير القبلة، فصلاته باطلة غير صحيحة، لا مبرئة لذمته إلا في أحوال أربع: إذا كان عاجزا عن استقبال القبلة، أو إذا كان خائفا أو كان هاربا واتجاهه إلى غير القبلة، أو إذا كان في سفر أراد أن يصلي النافلة، أو إذا اشتبهت عليه القبلة[٣].

---

[١] روى الحديث: البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم في كتاب العلم.

[٢] سورة البقرة: ١٤٤

[٣] محمد بن صالح ابن عثيمين، "فقه العبادات" (منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص١٠٩).

يقول "الشعراوي" (رحمه الله): ولما كان البيت الحرام بيت لله باختيار الله وكانت المساجد الأخرى بيوت لله باختيار عباد الله، فكان ولابد أن يكون البيت الذي باختيار الله قبلة للبيوت الأخرى.

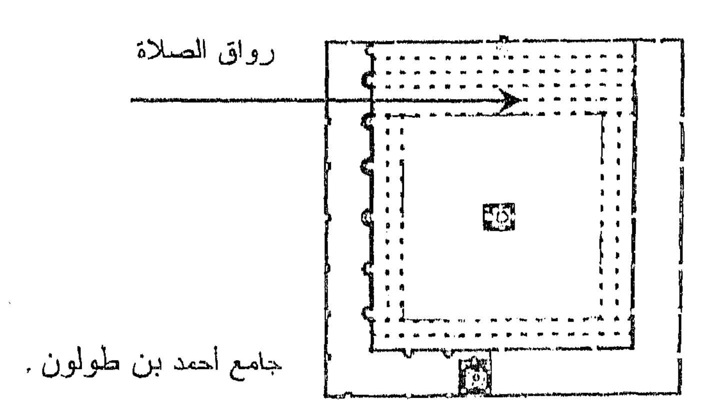
كما نلمس في توجه جميع المساجد وجميع المصلين على ظهر الأرض نحو المسجد الحرام في الصلاة دليل كبير ومغزى عظيم على وحدة المسلمين، وعلى مبدأ التوحيد الخالص الذي هو أساس العقيدة[1].

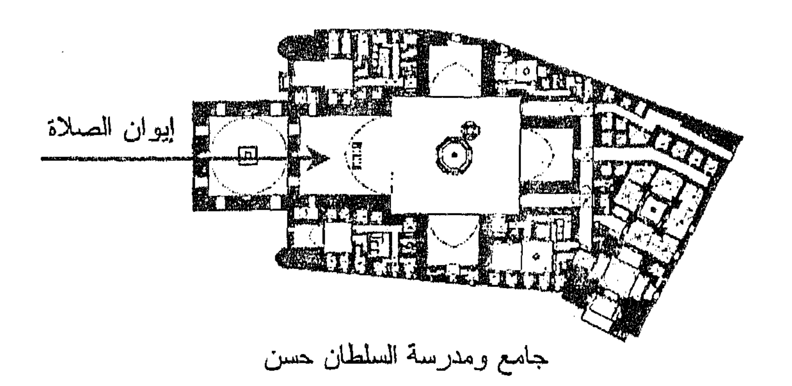
ويجب توجيه المسجد بشكل دقيق نحو القبلة، خصوصا في هذا الزمن الذي تيسر فيه معرفة اتجاه القبلة بشكل دقيق جدا في أي مكان في العالم، بخلاف ما كان عليه الأمر في الماضي، حيث وجد بعض الانحراف اليسير في بعض المساجد القديمة. ومن ذلك ما نقله الزركشي عند حديثه عن جامع عمرو بن العاص (رضي الله عنه) بمصر حيث قال: .. وأما اليوم فيقال: إن جداره القبلي قدم عما كان عليه فلعل الخلل منه، وأهل هذا الفن في زماننا يقولون: إن قبلته منحرفة يسيرا وقبلة الجامع الطولوني منحرفة انحرافا كبيرا. وقبلة الشافعي وكثير من القرافة على خط النهار، فلا أدرى هل ذلك لقصور أهل الوقت في معرفة دلائل القبلة أم كيف اتفق على ذلك؟ وهذا كله مما يؤكد النظر في أدلة القبلة، وعدم الاكتفاء بالمحاريب المنصوبة المجهولة[2].

ولا يقتصر الأمر على توجيه حيز الصلاة ناحية القبلة على بعديه (باعتبار أن ذلك من الأمور المسلم بها)، بل قد يتعدى الفكر هذه المرحلة ليصبح هناك ضرورة نحو توجيه هيئة الحيز في أبعاده الثلاثة ناحية القبلة[3]. وقد لعبت المآذن دورا كبيرا في تحقيق ذلك في المساجد السابقة من خلال وجودها على جانبي القبلة وفي مقدمة المسجد لتأكيد الاتجاه نحو القبلة، كما عمل رواق الصلاة (في طراز المساجد ذات

[1] احمد كمال عبد الفتاح، مرجع سابق. ص١٢
[2] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص١٠٩
[3] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٥٩

الأروقة) وإيوان الصلاة (فـــي طـــراز المســاجد ذات الإيوانـــات) دورا فـــي ذلك حيث كان كل منهما ذا عمق كبير ومثل في حد ذاتـــه مركـــز ثقـــل فـــي جمع أكبر عدد من المصلين بجوار القبلة بالنسبة لباقي أمـــاكن الصـــلاة فـــي المسجد (الأروقة والإيوانات الجانبية أو الخلفيـــة)، شـــكل رقـــم (١١)، ولـــذا سميا "رواق القبلة" و"إيوان القبلـــة".





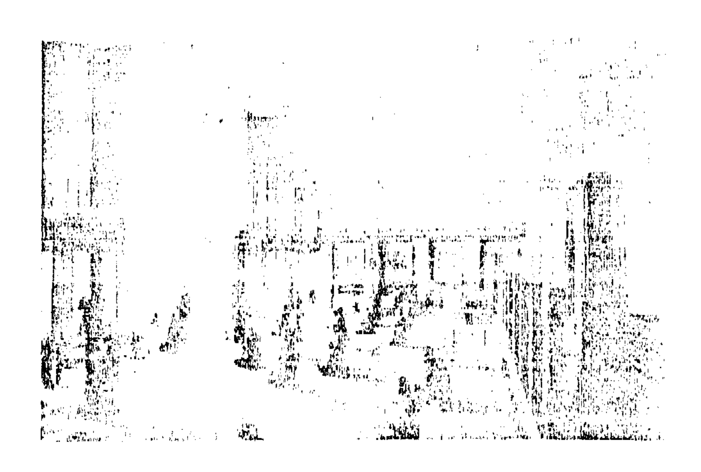
جامع ومدرسة السلطان حسن

شكل رقم (١١) التأكيد على التوجيه ناحية القبلة بزيادة عمق رواق أو إيوان الصلاة[1]

وفى العصر الحديث يمكـــن اســـتخدام الأشـــكال الجديـــدة للســـقف فـــي تحقيق هذا غرض توجيه هيئـــة المســـجد ناحيـــة القبلـــة مـــن حيـــث تـــدرج

[1] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميـــم الحـــيز الداخلـــي للمســـجد"، مرجـــع سابق.

السقف ناحية القبلة والاستفادة من فرق المنسوب بين بلاطات السقف في الارتفاعات المختلفة في عمل فتحات إضاءة علوية، شكل رقم (١٢).



شكل رقم (١٢) مسجد الجمعية الوطنية بأنقرة[١]

* **ارتفاع المسجد:** نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن التطاول في البنيان[٢] ليس في عمارة المسجد فحسب بل وفى البناء عموما، فقد روى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس فى البنيان**" (أخرجه البخاري)، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**أراكم ستشرفون مساجدكم بعدى كما شرفت اليهود كنائسها وكما شرفت النصارى بيعها**"[٣]، كما روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن (رضي الله عنه) قال: لما بنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسجده قال: "**ابنوه عريشا كعريش موسى (عليه السلام)**" قيل للحسن ما

[١] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦٠

[٢] التطاول في البنيان: المقصود به زيادة ارتفاع السقف وليس عدد الطوابق. (منظمة العواصم والمدن الإسلامية، مرجع سابق).

[٣] تشرفون: تجعلون لها شرفات وعلامات مميزة. ابن ماجة.

عريش موسى؟ قال إذا رفع يده بلـــغ العريـــش - يعنـــى السـقف"[1]. وقـد عبر مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن هـــذه الـروح مــن البســاطة والبعد عن التكلف والمفاخرة، حيث بلـــغ ارتفــاع سـقفه سـبعة أذرع (٣٥٠ سم)[2]، وهو نفس الارتفاع الــذي أوصــت بــه الدراســات الحديثــة طبقــا لحجم الهواء اللازم للفرد في الفــراغ، علــى أنــه يمكــن زيــادة الارتفــاع قليلا إذا زاد مسطح الحيز المخصـــص للصـــلاة[3].

الهيئة المعمارية الخارجية

في وضع خطة وتصميم المسجد لا يبـــدأ العمـــل بالشـــكل الخـــارجي، إذ أن المظهر لا يهم بقدر ما يهم الجوهر، لذا نجـــد الشـــكل الخـــارجي للمســـجد يتسم بالبساطة والوضوح، وهو المغلف للهيئـــة المعماريـــة الداخليـــة، والتـــي يتم الاهتمام بها وفـــق هـــذه المعـــايير، وتتمـــيز هيئـــة المســـجد المعماريـــة الخارجية بأنها تخضع للمحـــددات التاليـــة:

* **بساطة الهيئة الخارجية:** عندما نتأمل بنـــاء المساجـــد ونقـــارن بينـــها وبين دور العبادة الأخرى، فإنـــه يلاحـــظ أن دور العبـــادة الأخـــرى عبـــارة عن منشئات ضخمة ذات جدران عاليـــة، إنمـــا المســـاجد هـــي عبـــارة عـــن مساحات من الأرض تنظف وتسوى وتطهر يعين فيـــها اتجـــاه القبلـــة، وقـــد تسور هـــذه المســـاحات أو لا تســـور، وقـــد تفـــرش بـــالحصى النظيـــف أو الحصر الرخيصة أو البسط الغالية، وقـــد تقـــام فوقـــها مبـــان ضخمـــة ذات جدران وسقوف وقباب ومآذن وقد لا يقام من ذلك شـــيء، فـــلا يغـــير ذلـــك من الأمر شيئا، ويظل المسجد العـــادي مكانـــا مقدســـا واضـــح الشـــخصية لا يقل في هيبته عن أضخم المساجد، لأن المساجد فكـــرة وروح، فأمـــا الفكـــرة

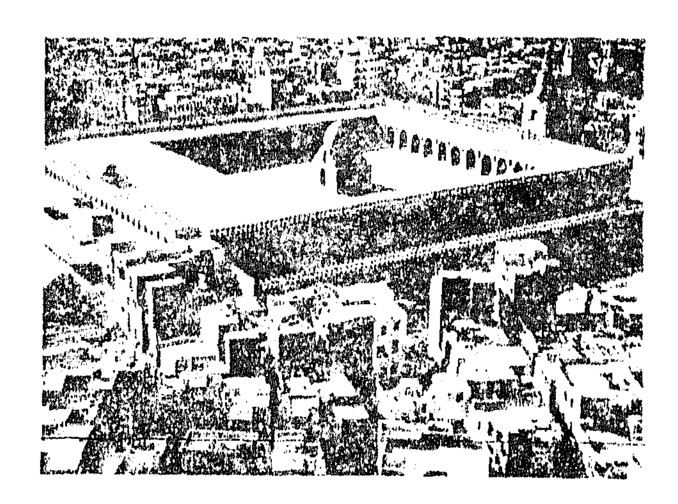
[1] منظمة العواصم والمدن الإســلامية، مرجــع ســابق. ص٤٨٧

[2] عبد العزيز بن سعد بن حمد المقـــرن، مرجـــع ســـابق، ص٣٣،٣٤

[3] محمود حسن نوفل، مرجـــع ســـابق. ص٨٠،٨١

فهي التي وضعها الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندمـــا بنـــى مســـجده فـــي أول الأمر، وأما الروح فـــهي روح الإســـلام[1].

إن بناء المسجد لم يكن بنـــاء تذكاريـــا، إنمـــا هـــو جـــزء مـــن النســـيج العمراني يتكامل معه ويرتبط به عضويا، شكل رقـــم (١٣)، فقـــد جـــاء فـــي الحديث النبوي عن السيدة عائشة (رضـــي الله عنـــها) أن النبـــي (صلـــى الله عليه وسلم) أمر ببناء المساجد في الدور، وأمر بـــها أن تنظـــف وتطيـــب[2]. حيث أن قدسية المكان تتحقـــق بإضفـــاء عوامـــل الطـــهارة والـــهدوء وقـــوة البنيان وسلامة الإنشاء، مع النقاء والصفاء الشكلي الـــذي يتـــلاءم مـــع النقـــاء والصفاء النفسي الذي يجب أن يتحلى بـــه المســـلم عنـــد دخولـــه بيتـــا مـــن بيـــوت الله[3].



شكل رقم (١٣) جامع أحمد طولون – تداخل الجامع مع النسيج العمراني المحيط به[4]

---

[1] حسين مؤنس، مرجـــع ســـابق. ص٥٥

[2] روى الحديث: أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجـــة وابـــن حبـــان.

[3] منظمة العواصم والمدن الإســـلامية، مرجـــع ســـابق. ص٤٩١

[4] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٥٩

* **التعبير عن الوظيفة:** التعبير عن الوظيفة يعني أن يحس الإنسان من خلال رؤية الشكل الخارجي للمبنى بالوظيفة التي يقوم بها المبنى، بمعنى كيف يمكن التمييز بين مبنى وآخر يختلفان في الوظيفة، المدرسة والمسكن مثلا. وقضية التعبير عن الوظيفة في الهيئة الخارجية للمبنى هي قضية فكرية معقدة في الحقل المعماري، وتتعدد فيها الآراء وتتناقض بل تتعارض بدرجة عالية من الشدة، ولم تحسم أي الاتجاهات حتى من خلال المباني التي نفذت تحقيقا لرأى كل فريق، وخصوصا لأن الموضوع يرتبط بثقافات موروثة وخبرات سابقة ليس بالنسبة للمصمم فحسب بل حتى بالنسبة للمستخدم. إلا أن أفضل هذه الآراء ما يرى أن تعبر المباني عن حقيقة الحيز الداخلي وليس عن وظيفة الحيز، وهذا ما ينطبق بالفعل على المسجد، فالمسجد قد يكون ببساطة ليس إلا حيزا واحدا تؤدى فيه كل الأنشطة، ومن هنا فالتعبير عن حقيقة الحيز أو حقيقة المبنى في فراغه الداخلي من الناحية المعمارية وليس عن وظيفة مركبة كما في وظيفة المسجد.

ومن هنا نجد أنه لا مانع من استخدام بعض العناصر الدالة على المسجد كالمئذنة والقبة وأشكال الفتحات الخارجية، لأنها ارتبطت في أذهان الناس بل والأطفال، ولك أن تجرب ذلك عندما تطلب من طفل أن يرسم مسجدا، فمجرد أن يمسك بالقلم تجده يرسم القبة والمئذنة. مع الأخذ في الاعتبار أن اللجوء إلى هذه العناصر في التصميم لا يكون الهدف منها إعلان المسجد عن ذاته أو بقصد المفاخرة أو المبالغة في التعبير والتزيين، ولكن بقصد التعرف على المسجد من خلال المستخدمين وخصوصا الغرباء عن البلد.

المبحث الخامس: القائمون بعملية البناء

قال تعالى: "**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ..** "[1]. ولما نزلت هذه الآية بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) أبا بكر وعلي وغيرهما (رضى الله عنهم) ينادون في موسم الحج: "**أن لا يحج بعد هذا العام مشرك**"[2].

وذكر الحافظ ابن كثير في التفسير عن أبي عمرو والأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين[3]. وذكر ابن مفلح في الآداب أن أبا موسى قدم على عمر (رضي الله عنه) بحساب العراق، فقال: ادع (الكاتب) يقرؤه، فقال: إنه لا يدخل المسجد. فقال: لم؟ قال: لأنه نصراني[4].

وبالتالي فلا يدخل المشركون موقع بناء المسجد طالما أنه قد خصص للمسجد، وقد تقام الصلاة في المسجد وهو في مراحله الإنشائية النهائية (التطشيبات) في بعض الأحيان أو أثناء إجراء صيانة دورية لعناصر المسجد، فكيف يكون ذلك وبه عمال مشركون يعملون. ومن جانب أولى فإن الاستعانة بالعمال المسلمين أولى وأحق.

وفى الأصل إنه ينبغي أن يتولى عمارة المسجد بالبناء من العمال ونحوهم إلا المسلمين ما داموا موجودين وقادرين بإذن الله تعالى على ذلك، وهم أحق وأشرف من غيرهم، وهكذا تخطيط عمارة المسجد يجب أن تكون بأيد مسلمة مؤمنة، ولا يعتمد على أحد من الكفار بشيء من هذا، وقد أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية قرارا برقم ٢٨ في ١٤٠٠/١٠/١٢هـ، وقد جاء فيه ما نصه: "ولما اطلع المجلس على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

---

[1] سورة التوبة: ٢٨

[2] روى الحديث: البخاري.

[3] عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مرجع سابق. ص٧٢

[4] عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مرجع سابق. ص٧٤

في الموضوع، واستمع إلى كلام أهل العلم فيه رأى بالإجماع أنه لا ينبغي أن يتولى الكفار تعمير المساجد حيث يوجد ممن يقوم بذلك من المسلمين وألا يتقدموا لهذا الغرض أو غيره تنفيذا لوصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أن لا يجتمع في الجزيرة دينان، وعملا بما يحفظ لهذه البلاد دينها وأمنها واستقرارها وإبعادا لها عن الخطر الذي أصاب البلدان المجاورة بسبب إقامة الكفار فيها، وتوليهم لكثير من أمورها، ولأن الكفار لا يؤمنون من الغش عند تصميم مخططات المساجد أو تنفيذها، فقد يصمموتها على هيئة قريبة أو مشابهة لهيئة الكنائس كما حدث من بعضهم، وقد يغشون في التنفيذ لأنهم أعداء لهذا الدين ولمن يدين به من المسلمين، ويوصي المجلس بأنه على الجهات الحكومية في وزارة الأشغال ووزارة الحج والأوقاف وغيرها ممن يتولى عمارة المساجد والإشراف عليها أن تلاحظ ذلك بدقة وعناية، وأن تشترط في كل العقود التي تبرمها لإقامة المساجد مع المقاولين ألا يستعينوا في التصميم والتنفيذ بأحد من غير المسلمين، والله ولي التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"[1].

المبحث السادس: قوة البنيان المادي للمسجد

المسجد كمبنى ينقسم إلى أساسات توضع في التربة وترتكز عليها الأعمدة (السواري) التي تحمل سقف المبنى (ويمكن أن تقوم الحوائط إما مستقلة أو مشتركة مع الأعمدة بهذا الدور)، ويتكون السقف من أعصاب أفقية (كمرات) تحمل بلاطات أفقية ممتدة.

هذا هو النموذج الهندسي الإنشائي البسيط لأي مبنى من المباني ومنها المسجد، وإن تعقدت عناصر المبنى نتيجة لكبر حجمه وزيادة

[1] إبراهيم بن صالح الخضيري، مرجع سابق. ص٣٣،٣٤

وتنوع عناصره الوظيفية وطبيعة المواد الإنشائية الداخلة في تكوينه، إلا أنها لا تخرج بشكل عام عن هذا النموذج الأولي البسيط.

ومتانة المسجد شرط أساسي من شروط نجاح التصميم المعماري والإنشائي، إذ لا تتحقق وظيفته بدون هذه المتانة، وقد سبق الإشارة إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما بنى مسجده جعل عمق أساس الحوائط ثلاثة أذرع (١٥٠سم) للتأكيد على ضرورة قوة البناء وتماسك عناصره.

وللتربة التي يقام عليها المبنى دورا كبيرا في جعل هذا المبنى راسخا متينا من عدمه، كما أن قوة عناصر المبنى والمتمثلة في التصميم الإنشائي الهندسي الناجح (وهو ما يختص بحسابات قطاعات عناصر المبنى والأحمال التي تستطيع أن تحملها ومقاومة القوة الخارجية التي يمكن أن تتعرض لها) لها دورا لا يقل عن دور الأساسات في بقاء المبنى صالحا للاستعمال ويحقق الأمن والآمان للمستخدمين المصلين (في حالة المسجد).

ومن خلال النظر في آيات القرآن والهدي النبوي نجد إشارة واضحة إلى قوة البنيان، والتي استخدمت في بعض الأحيان للإشارة إلى أحوال الناس وموقفهم من عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعة أوامره.

يقول الحق تبارك وتعالى: "**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين**"[١].

ومما هو معلوم في علم ميكانيكا التربة والأساسات أن المنحنى الأفقي لتوزيع الإجهادات لقاعدة الأساس يلاحظ فيه أن إجهادات قاعدة الأساس لا تتوقف عند حدود القاعدة، ولكنها تستمر لمسافات معينة يمينا ويسارا عن القاعدة، وإن كانت تتناقص كلما ابتعدنا عن منتصف القاعدة

[١] سورة التوبة: ١٠٩

(مما هو محصور بين خطين مائلين بزاوية قدرها ٤٥ من الأركان السفلية لقاعدة الأساس) لذا يمنع الحفر تحت هذه المنطقة وإلا انهار المبنى[١].

وبجانب قيم الإعجاز في هذه الآية ودلالتها الإيمانية، فإنه يناسب موضوع هذا الكتاب هنا الإشارة إلى أن هذه الآية قد حملت الإشارة الواضحة إلى اختيار موقع المبنى ليكون قويا راسخا، وبينت الفارق بين حالة التأسيس على تربة ضعيفة وأخرى قوية. وإن كانت قوة البناء مطلبا مهما في التصميم الهندسي لكي يتحقق الاستخدام الآمن للمبنى، فإنه من المطالب المهمة أيضا في عمارة المسجد، أن يحقق الأمن الحسي والمادي لأناس يقومون ويركعون ويسجدون في أمن روحي بين يدي الله تبارك وتعالى. فيقول الله تبارك وتعالى: **"وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود"**[٢]، كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): **"إن الله ضمن لمن كانت المساجد بيته الأمن والجواز على الصراط المستقيم يوم القيامة"**[٣]، والأمن هو السلامة من الخوف في الدنيا والآخرة، وأمن المكان يتمثل في اطمئنان أهله وعدم خوفهم من أن ينالهم مكروه، فالبيت مأمن أي موضع أمن[٤].

فضفة الوادي "الجرف" عبارة عن مكان مرتفع عن الوادي والتأسيس على حافة مكان مرتفع يعد من الأخطاء الهندسية الخطيرة حتى ولو كانت التربة قوية، فكيف يكون الحال في حالة ضعف التربة

[١] عز الدين صديق، هندسة المباني في القرآن والسنة"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٠٩، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ديسمبر/يناير ١٩٩٩/٢٠٠٠م. ص٦٢

[٢] سورة البقرة: ١٢٥

[٣] أخرج الحديث: البزار في مسنده.

[٤] المعهد العربي لإنماء المدن، مرجع سابق. ص٤٠

المشار إليها، نتيجة لتآكل ضفتي الوادي بفعل المياه، الأمر الذي يجعل ضفة الوادي لا تقوى على حمل نفسها، وبالتالي ينهار المبنى المقام عليها[١].

وفى حالة عدم اتزان قواعد الأساسات يتعرض المنشأ إلى هجوم إجهادات إضافية تؤثر بالضرر على أعضاء هيكل المبنى، وتصل هذه الإجهادات في تأثيرها الأقصى إلى انهيار سقف المبنى ضمن الانهيارات الجزئية أو الانهيار الشامل الذي تسببه هذه الاجهادات الآتية أصلا من عدم اتزان القواعد. وتجدر الإشارة إلى الإحصائيات تشير إلى أن ٨٠% من أسباب انهيارات المباني تعود إلى حدوث مشكلات في قواعد الأساسات لهذه المباني[٢]. يقول الله سبحانه وتعالى: "**قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**"[٣]، وفى هذا دليل واضح على دور القواعد في قوة المبنى وعناصره المختلفة.

إن هناك مجموعتين من القوى تؤثران على أي منشأ، المجموعة الأولى هي مجموعة القوى التي تحاول تحريك أعضاء المنشأ ومخالفة الاتزان، والمجموعة الثانية هي القوى التي تحاول المقاومة وصيانة اتزان المبنى. ومن هنا فهما يعملان بشكل متضاد، فإذا استطاعت المجموعة الأولى السيطرة على المنشأ مع ضعف أو قصور المجموعة الثانية حدثت التشرخات والانهيارات الجزئية بالمنشأ، والتي ما هي إلا أنواع من الحركة استهدفت تفريغ جزء من الطاقة الإستاتيكية بالمنشأ إلى طاقة ديناميكية محدثة للحركة والانهيار[٤]. يقول الله تبارك وتعالى: "**فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو**

---

[١] عز الدين صديق، مرجع سابق. ص٦٢

[٢] عز الدين صديق، مرجع سابق. ص٦٣

[٣] سورة النحل: ٢٦

[٤] عز الدين صديق، مرجع سابق. ص٦٣

شئت لتخذت عليه أجرا"[1]. وتـأتي روعـة التعبـير القرآنـي فـي وصف الحالة الحرجة للاتزان وهـي حالـة بدايـة أو علـى وشـك البدايـة لسـيطرة المجموعـة الأولـى مـن القـوى، وعـبر عنـها بنزعـة وإرادة الانهيار، وفى هذه الحالة فإن الاتزان مازال موجـودا، لكنـه اتـزان حـرج على وشك الانهيار، وهنا يظهر علـى المبنـى (أو عنـاصره) العديـد مـن الظواهر التي تبين هذه الحالـة الحرجـة مثـل انتشـار الشـقوق وحـدوث تفتيت للمواد المستخدمة في بنائـه[2].

وتمثل الأعمدة والحوائط والركـائز الرأسـية بمختلـف أنواعـها عمـاد المبنى إذ بدونها لا يقـوم السـقف، فبقوانيـن الصناعـة البشـرية للبنـاء لا يوجد سقف بدون ركائز رأسيه تحمله سـواء حوائـط أو أعمـدة، أمـا فيمـا صنع الله فيتحقق ذلك، ويعد آية على عظمة الخـالق وقدرتـه، يقـول الحـق تبـارك وتعـالى: "**الله الذى رفـع السماء بغير عمد ترونها ثم استوى علـى العرش وسـخر الشمس والقمـر كـل يجـرى لأجـل مسـمى يدبـر الأمـر يفصـل الآيات لعلكـم بلقـاء ربكـم توقنون**"[3]، ويتأكد دور الأعمدة في حمـل السـقف ويحتـاج السـقف إلـى قوة أخرى تحمله في قولـه تعـالى: "**ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجـرى فـى البحـر بأمره ويمسـك السـماء أن تقـع علـى الأرض إلا بإذنـه إن الله بالنـاس لـرءوف رحيـم**"[4]، وقولـه تعـالى: "**وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عـن آياتـها معرضـون**"[5].

كما تشير الآيات القرآنية إلى المبنـى القـوي والمبنـى الضعيـف فـي قول الحـق تبـارك وتعـالى: "**مثـل الذين اتخـذوا مـن دون الله أولياء**

[1] سورة الكهف: ٧٧
[2] عز الدين صديق، مرجـع سـابق. ص٦٣
[3] سورة الرعد: ٢
[4] سورة الحج: ٦٥
[5] سورة الأنبياء: ٣٢

كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون"[1]. وبالطبع فبيت العنكبوت ليس قائما على أساس متين كما أن عناصرها وموادها ضعيفة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى إحكام عمارة البناء وتماسك عناصره المختلفة وتضامنها معا بشكل يؤدى وظيفتها على أكمل وجه، فيقول الله جل وعلا: "**إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**"[2]. وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**"[3]، كما يشير الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى البناء غير المكتمل وعدم صلاحيته فيما روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**"[4].

كما أشار القرآن الكريم إلى إحكام الصنعة في قول الله تعالى: "**.. صنع الله الذى أتقن كل شئ ..**"[5]، وقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): "**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**"[6]، كما روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "**من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا**"[7]. من هنا جاءت الحسبة على مواد البناء فقد شدد الفقهاء على أهمية قيام المحتسب بمراعاة جودة مواد البناء ومتابعته لصناعها، وهو أمر يمس جوهر

---

[1] سورة العنكبوت: ٤١

[2] سورة الصف: ٤

[3] روى الحديث: البخاري في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

[4] روى الحديث: البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين.

[5] سورة النمل: ٨٨

[6] روى الحديث: البيهقي.

[7] روى الحديث: مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي من غشنا فليس منا.

البنيان، ويساعد في الحفاظ على أموال المسلمين وأرواحهم، ويدل على مدى ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من رقي في مجال المتابعة لكل ما يتعلق بشؤون المسلمين. فيقول ابن عبدون : "أما البنيان، فهي الأكنان، لمأوى الأنفس والمهج والأبدان، فيجب تحصينها وحفظها، لأنها مواضع حفظ الأموال والمهج .. فمن الواجب أن ينظر المحتسب في كل ما يحتاج إليه من العدد، ومن ذلك أن ينظر أولا في الحيطان، وتقريب الخشب الوافر الغليظ القوي للبنية، وهي التي تحمل الأثقال، وتمسك البنيان .. يجب أن تكون جهة ألواح البنيان في عرضها شبرين ونصف لا أقل من ذلك، ويحدد ذلك القاضي والمحتسب للصناع والبنائين، ولا يصنع حائط يحمل ثقلا أقل من ذلك. ويجب أن تكون الآجر وافرة، محددة لهذا المقدار من عرض الحائط .. يجب أن يكون عند المحتسب، أو معلق في الجامع، قالب في غلظ الآجر، وسعة القرمدة، وعرض الجائزة وغلظها، وغلظ الخشبة، وغلظ لوح الفرش، هذه القوالب مصنوعة من خشب صلب لا يستاس، معلقة في مسامير في أعلى حائط الجامع، يحافظ عليها كي يرجع إليها متى ما نقص منها أو زيد فيها ويكون عند الصناع آخر لعملهم، وهذا من أحسن شيء ينظر فيه وأوكده. وعن مكان صنع مواد البناء يقول : "ويجب أن تصنع القراميد والآجر خارج أبواب المدينة لأن تلك المواضع أوسع، فقد ضاق في المدينة المتسع، ويجب أن يجيد طبخ الآجر والقراميد ..ويجب أن يحدد لهم المحتسب أن يصنعوا أنواعا من شكل الآجر .. حتى إذا طلب شيء وجده"[1].

وفى العصر الحديث وجدت مواصفات خاصة بأعمال البناء وطبيعة المواد وكيفية البناء والتركيب تفصيلا وتوضيحا لدقائق العناصر والمواد والآلات المستخدمة، طبقا للشروط الهندسية وخصائص جودة الصناعة وكيفية الصناعة والعمل والبناء مما يتطلب الالتزام بها على الوجه الأكمل في بناء المسجد.

---

[1] خالد محمد مصطفى عزب، "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية"، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٥٨، مركز البحوث والمعلومات، قطر، ١٤١٨هـ.

الفصل الثالث

عمارة المسجد الاجتماعية

لا تقتصر عمارة المسجد على الجوانب الحسية للفرد والمادية للمبنى بما يحقق الوظائف التي من أجلها شيدت المساجد، ولكن لعمارة المسجد بعداً اجتماعياً أخراً يتمثل في التأثيرات التي يؤثر بها المسجد – ككيان روحي ومادي – في النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمع.

ولعل هذا ما يمكن أن يفسر لنا بساطة عمارة المسجد البنائية، لأن المسجد لم يكن ليشيد كمبنى له مكانة، وإنما المكانة العظمى هي في جوهر ما يُؤدى فيه من طاعات وعبادات، وما يجرى فيه من معاملات، وما يقوم به من دور فعال في عمارة وتنمية المجتمع.

ويحوي هذا الفصل محاولة لإلقاء الضوء على جوانب عمارة المسجد الاجتماعية من خلال خمسة محاور تشكل طبيعة هذه العمارة وماهيتها وعناصرها الرئيسة دينياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً.

المبحث الأول: عمارة المسجد الدينية

وهى ما تختص بالصلة الوثيقة بين الدين والمسجد، والعلاقة بينهما علاقة ترابط وظيفي، فإذا كان المسجد كمبنى هو قلب المجتمع والمكان المناسب للعبادات، فهو المكان الصالح لنشر الدعوة الإسلامية سواء بين المسلمين أو غير المسلمين. ومن أهم الجوانب الدينية التي ارتبطت بعمارة المسجد ما يلي:

المسجد ونشأة المجتمع الإسلامي

سبحان الله الذي أوحى إلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) أول ما وطئت قدمه قباء أن ينشئ مسجداً، فقد كان ذلك مولداً لجماعة المسلمين في المدينة، وعندما استقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في منازل بني عدي بن النجار في وسط المدينة لم يقدم شيئا على بناء مسجده، وعندما قام هذا المسجد ظهرت الجماعة الإسلامية الأولى إلى الوجود[1].

ولقد كانت المساجد – في أحيان كثيرة جداً – النواة التي نشأت حولها جماعة إسلامية جديدة، بعض التجار أو المهاجرين المسلمين عندما يذهبون إلى بلد غير إسلامي ينشئون "زاوية" تجتذب أهل البلد إلى الإسلام، فتنشأ جماعة إسلامية حول هذه الزاوية، ثم يقوم أهل هذه الجماعة الجديدة بإنشاء زاوية فيما يليهم من الأرض فتنشأ فيها جماعة جديدة، وهكذا تزحف المساجد والجماعة وراءها[2].

ولعل استثمار المسجد ودوره في تكوين الجماعة المسلمة كان هو السر في انتشار الإسلام في كثير من بلاد العالم، من أندونيسيا والفلبين واليابان في الشرق إلى إفريقيا إلى المحيط الأطلسي غربا، وإلى وسط أوروبا وغربها وشمالها[3].

المسجد مركز للدعوة

فمن المسجد الحرام انطلقت دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تهز أرجاء مكة بقوة ألفاظها وسلاسة معانيها، وقوة نفوذها في الأعماق، تعرب عن صدق وإخلاص وأمانة، وتنبع من حنان عامر بالنور. فكان المسجد مركزاً للدعوة ومنبراً للتوجيه، فكم نور القلوب وعمر الأفئدة

---

[1] حسين مؤنس، مرجع سابق. ص٤٢

[2] حسين مؤنس، مرجع سابق. ص٤٢،٤٣

[3] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمسجد"، مرجع سابق. ص١٨

وأزال عنها أوضار جاهلية وغبش المعاصي وانـــتزع منـــها جـذور الزيـــغ والضلال، وجعل منها بحول الله تعالى وقوتــــه أجيـــالاً مؤمنـــة تقيـــة نقيـــة، مجاهدة صامدة، قانتة مطيعة، عمـــرت الأرض بالطاعـــة والخـــير، ونشـــرت الإسلام في آفاق واسعة ونواح عديدة من المعمــــورة، فكـــانت قرآنـــاً يمشـــي على الأرض ينير للناس مناهج الحق ويهديـــهم ســـبل الرشـــاد[1].

وسارت على هذا النمـــط الأجيـــال المؤمنـــة تســـتخدم منـــابر المســـاجد للإرشاد والتوجيــــه والإنـــذار والتحذيـــر وبيـــان الأحكـــام وغـــرس العقيـــدة الصحيحة، وعلاج ما في المجتمع مـــن أدواء وعيـــوب، واســـتئصال شـــأفات الحقد والحسد وكل خلق ذميـــم، والحـــث علـــى النـــهج الصحيـــح، والســـلوك المستقيم، حتى يعيش المجتمع المسلم نقياً صافيـــاً متـــواداً متراحمـــاً، متكافئـــاً متعاطفاً، يحس فرده بما يقلق جماعته، وجماعته بمـــا يزعـــج فـــرده[2].

ولا تزال الخطبة في المسجد هـــي أكـــثر الوســـائل فعاليـــة فـــي نشـــر الدعوة الإسلامية، حيث أنها تتبوأ في الإسلام مركـــزاً ممتـــازاً بالنســـبة إلـــى نشر الدعوة وتبليغها للناس منذ بـــدء الرســـالة المحمديـــة، فالخطبـــة أســـرع إلى فهم العامة وأبلغ في التأثير على الجميـــع، كمـــا أن لـــها مفعـــول مباشـــر وسريع في توجيه الرأي العـــام[3].

وفي المراكز الإسلامية التي انتشرت فـــي بـــلاد غـــير المســـلمين، نجـــد المسجد يمثل مركزاً ناجحاً للدعوة، فبعـــض المراكـــز الإســـلامية تخصـــص إحدى قاعاتها لدعوة غير المسلمين إلى ســـماع كلمـــة عـــن الإســـلام، كمـــا أنها تنظم معارض عن الثقافـــة الإســـلامية بشـــتى مظاهرهـــا لتجلـــب غـــير المسلمين إلى زيارتها حتى تكون لديـــهم فرصـــة للاطـــلاع علـــى محاســـن الإسلام وسمو معانيـــه وعظيـــم مكانتـــه بيـــن مختلـــف المذاهـــب والأديـــان الموجودة في الأرض[4]، شـــكل رقـــم (١٤).

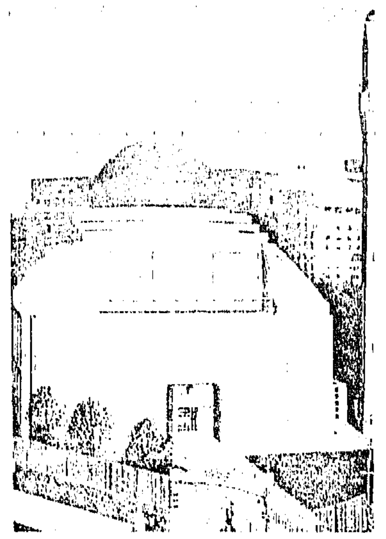
---

[1] صالح بن ناصر الخزيم، مرجـــع ســـابق. ص١١،١٢

[2] صالح بن ناصر الخزيم، مرجـــع ســـابق. ص١٥

[3] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمســـجد"، مرجـــع ســـابق. ص١٤

[4] سعود بن سعد بن محمد آل رشـــود، مرجـــع ســـابق. ص٤٥



شكل رقم (١٤) نموذج لأحد المراكز الإسلامية في المدن الأمريكية[١]

إمام المسجد

يعد إمام المسجد وخطيبه عماد المسجد وقوته، به يؤدى المسجد رسالته في نشر الدعوة وتوعية المجتمع وتبصير الناس بأمور دينهم، فإذا كان الخطيب عالماً قوي الشخصية نافذ البصيرة عارفاً بعادات الناس وأحوالهم كان تأثيره جيداً ومفيداً على جماعة المسجد وفي سكان الحي الذي فيه المسجد، يعلمهم ويقودهم إلى كل خير وفضيلة[٢].

وفى صدر الإسلام كان النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الإمام والخطيب ثم خلفاؤه الراشدون ثم الأمراء والعلماء والأعلام، وهذا يدل

[١] عمر خالدي، "المساجد .. شواهد إسلامية في أمريكا"، مجلة العربي، العدد، ٥٠٦، وزارة الإعلام، الكويت، ٢٠٠١م. ص٩١

[٢] سعود بن محمد البشر، "إمام المسجد .. مقوماته العلمية"، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ. ص٨،٧

على أنه يجب أن يكون من يتولى هذه الوظيفة في المنزلة العالية من الدين والخلق والعلم والسلوك[1].

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سنا"[2].

وعندما كانت السلطة الدينية والسلطة المدنية تجتمع في شخص الحاكم، كان هو الإمام الذي يؤم رعيته في صلاة الجمعة، وكان هو الخطيب الذي يلتقي بهم كل أسبوع في الخطبة الاجتماعية التي تمس أمورهم وأمور الدولة، وفي الخطبة الدينية التي تمس أمور دينهم[3].

وإذا كان في عمارة المسجد من الناحية الاجتماعية تعيين إمام على هذه الدرجة العالية من المعرفة بأمور الدين، فإن عدم توفر ذلك يعد تخريبا للمسجد أيما تخريب.

وبجانب إمام المسجد، فإنه يلحق بالمسجد عدد من الموظفين الذين يختصون بإقامة الشعائر الدينية، كالمؤذنين والعمال والخدم، ويتم تحديد مهامهم وفق القواعد الشرعية التي يجب على كل واحد منهم تطبيقها والالتزام بها، لتسهيل مهمة العبادة على المسلمين، وللقيام بها على الوجه الشرعي المطلوب[4].

المبحث الثاني: المسجد مؤسسة اجتماعية

إن علاقة المسجد بالمجتمع أقوى من أن تقف عند خمس صلوات تؤدى فيه في اليوم والليلة، ثم يغلق بابه فيما بين ذلك، وتنقطع علاقة المسلمين به وسائر شؤونهم وأحوالهم، إن علاقة المسجد بالوضع

---

[1] سعود بن محمد البشر، مرجع سابق. ص٨

[2] روى الحديث: مسلم في كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة.

[3] أحمد كمال عبد الفتاح، مرجع سابق. ص١٦

[4] عبد الستار إبراهيم رحيم الهيتي، "الوقف ودوره في التنمية"، مركز البحوث والدراسات، قطر، ١٩٩٧م.

الاجتماعي علاقة تفاعل ثابت ومستمر، فمن جهة يساهم المسجد في تكوين الجماعة المسلمة ومن جهة أخرى يحدد المسجد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. ومن أهم الجوانب الاجتماعية التي ارتبطت بعمارة المسجد ما يلي:

المسجد محيط التعارف والأخوة الإسلامية

يقول الحق تبارك وتعالى: "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"[١].

والمسجد كفيل بإيجاد تعارف أخوي إيماني لا ينسى، ذلك أن المصلين في الحي الواحد يلتقون في المسجد في الصلوات وفي الدرس، وبعد فترة قصيرة يصبح أفراد الحي الواحد كلهم متعارفين بسبب تكرار رؤية بعضهم بعضا ومصافحة بعضهم بعضا. والمقصود من التعارف هنا هو تقوية أواصر الأخوة الإيمانية التي يترتب عليها العمل بكل ما يقويها من المحبة، والتزاور وعيادة المريض، وإجابة الدعوة، وإعانة المحتاج والضعيف وإفشاء السلام، وطلاقة الوجه وطيب الكلمة، والتواضع وقبول الحق، والعفو والسماحة ودفع السيئة بالتي هي أحسن، والإيثار وحسن الظن، ونصرة المظلوم، وستر المسلم إذا وجدت منه هفوة، وتعليم الجاهل، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وأداء الحقوق إلى أهلها، والنصح لكل مسلم، وهذا كله منطلقه بيت الله[٢].

فهل هناك مؤسسة تربوية مهما كانت يمكن أن تفعل في طلابها ما يفعله المسجد، أو أن تغرس فيهم هذه القيم الاجتماعية في سلوك عملي تربوي وتدريبي دائم ومتصل ومتنامي، لا ينتهي بالحصول على شهادة

---

[١] سورة الحجرات: ١٣

[٢] صالح بن غانم السدلان، الأثر التربوي للمسجد"، مرجع سابق. ص٢٢،٢٣

تخرج كما يحدث في الجامعات العلمية الأخرى، إنما الشهادة الفعلية هي الجواز على الصراط المستقيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): "إن الله ضمن لمن كانت المساجد بيته الأمن والجواز على الصراط المستقيم يوم القيامة"[1]، فهذا هو المقصد والغاية.

وإن لم يكن باستطاعة المسلم أن يتعرف على جميع الذين يؤدون معه الصلاة، فيكفي شعوره بأن جميع من يصلون معه إخوة له في الإيمان، وأن يشعر بأن هؤلاء ليسوا إلا نموذجا واحدا لمجموعات كبيرة من إخوته في الله في سائر البقاع الإسلامية[2].

المسجد والمساواة الاجتماعية

إن ركعة واحدة يؤديها المسلمون في بيت من بيوت الله، جنبا إلى جنب، تغرس في نفوسهم من حقائق المساواة الإنسانية وموجبات الود والأخوة، ما لا تفعله عشرات من الكتب التي تدعو إلى المساواة وتتحدث عن فلسفة الإنسان المثالي، أو العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، وعندما أتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمارة مسجده شد قلوب المسلمين في ظله بنياط الأخوة في الله، فكان لهم المسجد خير ضمان لذلك[3].

ففي مساجد الإسلام – حيث تقام صلاة الجمعة والجماعة – تأخذ المساواة صورتها العملية وتزول كل الفوارق التي تميز بين الناس، فمن ذهب إلى المسجد أولا أخذ مكانه في مقدمة الصفوف وإن كان أقل الناس مالا، وأضعفهم جاها. ومن تأخر حضوره تأخر مكانه مهما يكن

---

[1] أخرج الحديث: البزار في مسنده وقال: حسن الإسناد (محمد بن عبد الهادي أو الأجفان، مرجع سابق. ص٣٤).

[2] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص٦٧

[3] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمسجد"، مرجع سابق. ص٩،٨

مركزه. ولو نظرت إلى صف واحد من صفوف المصلين لراعك أن تجد الغني فيه بجوار الفقير والعالم بجانب الأمي، والشريف بجانب الوضيع، والحاكم بجوار المحكوم والسيد بجوار الخادم، لا فرق بين واحد وآخر، فكلهم سواسية أمام الله، في قيامهم وقعودهم وركوعهم وسجودهم .. قبلتهم واحدة وكتابهم واحد، وربهم واحد وحركتهم واحدة، خلف إمام واحد[١]، والتفاوت الفعلي بينهم يكون في إخلاص النية والعمل لله.

المسجد مأوى للغرباء والمسافرين

اشتهر في السنة وجود مكان ملحق بالمسجد يسمى الصفة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأوي إليه من لا سكن له من الفقراء، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرعاهم، ويعطف عليهم ويُهدى لهم، ويطلب لهم شيئا من الصدقة[٢]. فعن عثمان بن اليمان (رضي الله عنه) قال: لما كثر المهاجرون بالمدينة، ولم يكن لهم دار ولا مأوى، أنزلهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسجد، وسماهم أصحاب الصفة، وكان يجالسهم ويأنس بهم[٣].

وعن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجاءه قوم عراة مجتابي النمار[٤] أو العباء، متقلدي السيوف عامتهم، بل كلهم، من مضر فتمعر[٥] وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر

[١] يوسف القرضاوي، "الخصائص العامة للإسلام"، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ. ص٨٨

[٢] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٢٤

[٣] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤٨

[٤] مجتابي: أي لابسي النمار قد خرقوها في رؤسهم، والنمار: كساء من صوف مخطط. (جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤٨).

[٥] تمعر: تغير (جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤٩).

بلالا فأذن وأقام، ثم صلى ثم خطب فقال: "**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**"[1]. "**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ..**"[2]. "تصدق رجل من ديناره، من بره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمر، حتى قال: ولو بشق تمرة، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفا تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتهلل كأنه مذهبة[3]، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[4].

ويبدو أنها لم تكن مجرد حالة أو حادثة خاصة أو مؤقتة بزمن محدد، فقد كان المسجد مأوى للغرباء والمسافرين، وما زال وإن اختلفت الصورة في العصر الحالي عنها سابقا. يحكي أبو بكر بن العربي (٤٦٨-٥٤٢هـ/١٠٧٦-١١٤٨م) في رحلته أن المركب الذي كان ينقله مع أبيه من الأندلس إلى الإسكندرية عصفت به الريح وغرق قرب شاطئ طرابلس، ولكن الله يسر لهم النجاة إلى الشاطئ، وهما في أسوأ حالة، فأخذهما الناس إلى الجامع، وهناك أسرع الناس إليهما بشيء من الكسوة[5].

---

[1] سورة النساء: ١

[2] سورة الحشر: ١٨

[3] مذهبة: الصف والاستنارة (جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤٨).

[4] روى الحديث: مسلم (جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤٩).

[5] حسين مؤنس، مرجع سابق. ص٣٩

وهذا من الطبيعي في الحكمة من وجود المسجد في البلد المسلم، فإذا لم يذهب الغريب إلى المسجد، فإلى أين يذهب؟ وإن لم يقابل أخيه المسلم في المسجد فإن يمكن أن يقابله؟ إن لقاء الغريب بإخوانه في المسجد يجعلهم يحسون به وبحالته، ويرفع عنه حرج المسألة، ويبعث الصدق في حاجته، حتى من قبل أن يسأل. هذا مع العلم بأن أهل العلم قد شددوا في جواز إعطاء السائل الذي يسأل في المسجد، وأقل أحوالهم الكراهة وإن أجازه بعضهم، لأن هذا يخرج المسجد عن وظيفته الأساسية، ويبقى ميدانا لتباري السائلين وعرض مشكلاتهم[١].

المسجد وتحقيق الأمن الاجتماعي

قال تعالى: "**اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**"[٢]. فعندما يتمكن الإيمان من قلوب المؤمنين يحبون الله ورسوله، ويحبون العمل الصالح، ويكرهون الكفر والفسوق والعصيان، وتنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر والبغي، فلا يأتون إلا ما أراده الله منهم شرعا[٣].

فالمسجد عامل مهم في بناء المجتمع لأنه يجمع الأفراد على أهداف واضحة محددة ومشتركة تتسع للجميع، ولا يؤدي التنافس عليها إلى إثارة الحقد والبغضاء وإرادة الشر بين أفراد المجتمع، بل يؤدي التنافس عليها إلى زرع المودة والرحمة في القلوب وإرادة الخير للناس جميعا[٤]، وهذا هو مجال التنافس الحقيقي في الطاعة والعمل، قال

---

[١] فالح بن محمد فالح الصغير، مرجع سابق. ص٤٧

[٢] سورة العنكبوت: ٤٥

[٣] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي في المسجد"، مرجع سابق. ص٢٦

[٤] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص٦٦

تعالى: "**لمثل هذا فليعمل العاملون**"[1]، كما قال عز وجل: "**.. وفى ذلك فليتنافس المتنافسون**"[2].

ويسهم المسجد في إشاعة الأمن الاجتماعي بمعناه الحقيقي، حيث يؤلف بين القلوب ويشيع التسامح والعفو والبر والتواضع وسائر الأخلاق الفاضلة الذكية فيغدو المجتمع الذي يقوم فيه المسجد مجتمعا صالحا نزيها فاضلا لا مكان فيه لرذيلة ولا جريمة ولا فساد[3].

المسجد ومراعاة حقوق الجار

معلوم أن بناء المساجد عامة يتسم بالارتفاع والعلو، مما قد يشرف على البيوت المجاورة فيؤذى أهلها استخدام الأدوار العليا أو صعود عمال الصيانة والنظافة لأي سبب، أو صعود المؤذن لرفع الأذان. وقد سئل سحنون عن المسجد يكون فيه المنارة فإذا صعد المؤذن فيه عاين ما في الدور التي تجاور المسجد فيريد أهل الدور منع المؤذن من الصعود؟ قال سحنون: يمنع من الصعود والارتقاء لأن هذا من الضرر وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الضرر. وسأل حبيب سحنونا عن من بنى مسجدا على جدار داره وعمل له سطحا وكان من سار في السطح رأى ما في دار الرجل إلى جانبه؟ فقال: يجبر باني المسجد على أن يستر سقف المسجد ويمنع الناس من الصلاة في المسجد حتى يستر جاره. وروى ابن وهب عن ربيعة الرأي: أنه سئل عن رجل بنى مسجدا من طائفة من داره أله أن يزيد فيه من الطريق فقال: ليس له ذلك لأنه ليس لأحد أن يزيد من الطريق الذي للمسلمين شيئا ولا يضيق عليهم في طرقهم بنقص أو زيادة[4].

---

[1] سورة الصافات: ٦١

[2] سورة المطففين: ٢٦

[3] سعود بن سعد بن محمد آل رشود، مرجع سابق. ص٣٥

[4] صالح بن غانم السدلان، "الضوابط الشريعة لعمارة المساجد"، مرجع سابق. ص٩،٨

وقد أكدت عمارة المساجد التقليدية مراعاة حقوق الجار في تصميم المسجد وتصميم المئذنة بشكل خاص، ففي بعض مناطق نجد حرص أساتذة البناء على الإقلال من الفتحات والنوافذ في المئذنة والاقتصار في بعض الأحيان على بعض الثقوب المائلة بزاوية نحو السماء، وذلك لتوفير الإضاءة داخل المئذنة وفى نفس الوقت توفير الخصوصية الكاملة للجيران[1]. كما كانت الفتحات في أغلب الأحيان في مستوى أعلى من مستوى الصاعد على سلم المئذنة، وزودت المئذنة بأكثر من شرفة حيث كانت الشرفة العلوية تستخدم للآذان بالنهار والسفلية للآذان بالليل، بجانب مراقبة المتحسب للمؤذنين وعدم السماح لهم أو لغيرهم بالصعود للمئذنة في غير وقت الآذان[2]. وعندما زار الخليفة سلمان بن عبد الملك (ت٩٩هـ/٧١٧م) مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو في طريقه إلى الحج، نزل في بيت مروان في جهة الركن الجنوبي لمسجد النبي (صلى الله عليه وسلم)، وعندما صعد المؤذن المئذنة التي في هذا الركن للأذان أصبح الخليفة تحت بصره، فعندئذ أمر الخليفة بهدم هذه المئذنة إلى مستوى سطح الأرض[3].

كذلك ما يروى عن الجامع الأزهر أنه انتهج تقليدا سار عليه منذ نشأته، وذلك بضرورة أن يكون المؤذن ضريرا للحفاظ على حرمة الدور المحيطة وعوراتها[4]. ونعتقد القول بأن هذا التقليد كان معمولا به في أغلب المساجد القديمة وما يؤكده عمل السلم الحلزوني في قلب المئذنة ليستطيع المؤذن الضرير أن يصعد عليه بسهولة ويسر. وإن كانت التطورات المعاصرة واستخدام مكبرات الصوت قد منعت المؤذن من الصعود على المئذنة، وبالتالي فإن الحكم يبقى على عمال الصيانة أثناء صيانة مكبرات الصوت أو حتى المآذن ذاتها.

[1] منصور بن عبد العزيز الجديد، مرجع سابق. ص١٠٨

[2] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عوض محمد الإمام، مرجع سابق. ص١٤٧

[3] محمد عبد الستار عثمان، "المدينة الإسلامية"، مرجع سابق. ص٣٣٤

[4] محمود حسن نوفل، مرجع سابق. ص٨٤

من هنا وجب مراعاة حقوق الجار عند بناء المساجد وعمارتها، لأن ذلك من شأنه جعل النفوس راضية ومجتمعة على عمارة المسجد روحيا وحسيا وماديا واجتماعيا، لأن مراعاة حقوق الجار فيما يختص بالمسجد يؤدي إلى تعمير العلاقات الطيبة بين الناس وبعضهم، وهذا ما يمثل انعكاسا مهما لعمارة المسجد الاجتماعية على حياة المجتمع.

ومن هنا فقد قدمت عمارة المسجد بعدا جديدا في المجتمع، تمثل في إيجاد نموذج يحتذى به اجتماعيا في تحديد شكل العلاقة بين الجيران فيما يخص البناء، فإن كان المسجد وهو بيت الله لا يسمح فيه بالتعدي على الجار، فكذلك بيوت الناس لا يسمح فيها بالتعدي على حرمات الآخرين.

المسجد دار لتوثيق عقود الزواج

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف**"[1]. وليس هذا معناه الوطء ولكن عقد النكاح، وإنما اللفظ للمبالغة في الإظهار، كما أن هذا لا يعني أن يضرب الدف في المسجد بل خارجه، والمأمور بجعله فيه مجرد العقد فقط. وقال العلامة أبو النجا المقدسي: "ويباح في المسجد عقد النكاح"[2].

وقد جعل المسجد لبداية هذه العلاقة الخاصة بين أفراد المجتمع، لأهمية هذه الرابطة الاجتماعية على مستوى الأسرة والمجتمع، فكان التوثيق لها لضمان الحقوق والواجبات. ومازال المسجد يقوم بهذا الدور في المجتمع حتى وقتنا الحاضر، ولكم هي نفحة طيبة أن يبدأ الأزواج حياتهم من منطلق المسجد ودوره الدبني في نفس الإنسان، ولكي

[1] روى الحديث: الترمذي.
[2] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤٦، ٤٧

يستمدوا منه العون على الحياة؛ ويكون لما يؤدى فيه مرجعا في كل أمورهم وأمور ذرياتهم.

المسجد جامعة علمية

يحض الإسلام على العلم وطلبه نظرا لأهميته الكبرى في الحياة، ولا عجب في أن تكون أول آية من القرآن تحدثت عن العلم: "**إقرأ باسم ربك الذى خلق**"[1]، كما يثني على العلماء فيقول الله تبارك وتعالى: "**.. يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ..**"[2]، كما يقول سبحانه وتعالى: "**.. وقل رب زدنى علما** "[3]، ويقول جل وعلا: "**..إنما يخشى الله من عباده العلماء ..**"[4].

كما رويت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أحاديث كثيرة تدفع الهمم نحو تلقي العلم والتعليم وتبين شرف ذلك، منها ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة**"[5]. كما روي عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**"[6].

ولفضل المساجد رغب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في التعليم فيها وجعلها أفضل دار للعلم والتعليم، فقد روى مسلم وغيره مرفوعا

---

[1] سورة العلق: ١
[2] سورة المجادلة: ١١
[3] سورة طه: ١١٤
[4] سورة فاطر: ٢٨
[5] روى الحديث: البخاري، باب العلم.
[6] روى الحديث: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

"وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[1].

وقد كان المسجد النبوي مدرسة عامرة بالتعليم الإسلامي، حيث كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلم أصحابه والوافدين على المدينة النبوية أمور دينهم. وكثير من النصوص توضح أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان يعلم أصحابه قواعد الإسلام في المسجد، كما في رواية واقد بن الحارث بن عوف (رضي الله عنه)، قال: "بينما هو جالس في المسجد، والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأما أحدهما، فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا. فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه"[2].

وقد استمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلم الصحابة (رضي الله عنهم) في المسجد النبوي خلال إقامته في المدينة إلى أن لحق بالرفيق الأعلى. ثم قام علماء الصحابة (رضي الله عنهم) بالتعليم في المسجد النبوي وفى مساجد الأمصار التي فتحوها، وكان من أبرز من لازموا التعليم في المساجد عبد الله بن مسعود، وأبو هريرة الدوسي، وأبو الدرداء عويمر ابن زيد، ومعاذ بن جبل، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس (رضي الله عنهم)، أما في عهد التابعين ومن بعدهم فقد ازدهر التعليم في المساجد،

---

[1] روى الحديث: مسلم في كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.
[2] متفق عليه (المكي أقلاينة، مرجع سابق. ص٤١).

وكانت هي دور العلم الأولى التي يقصدها طلاب العلم على مر العصور[1].

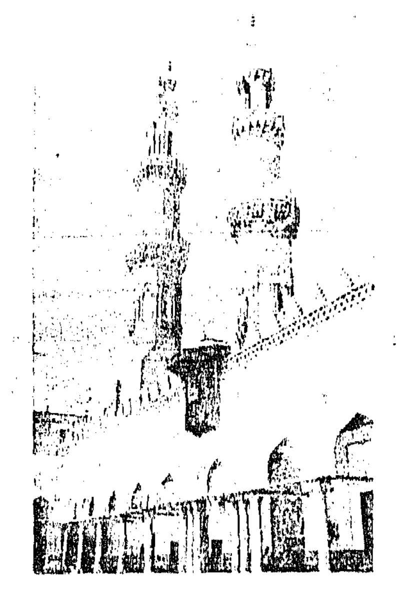
وهكذا كان المسجد في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جامعة تخرج منها العلماء الأوائل، وتربى فيها الرعيل الأول، وانطلق منها المعلمون إلى ديار الإسلام المختلفة. وكون التعليم في المسجد يعطيه خاصية فريدة عن غيره إذ أن المكث فيه مع العلم والتعليم يضفي على المتعلم جوا عباديا يشعر معه بارتباطه بالله سبحانه وتعالى؛ إذ أن الدافع إلى هذا التعليم إخلاصه لله عز وجل، والانتفاع منه وفيه[2]. وتنقل الروايات حرص المسلمين الشديد على طلب العلم في المساجد بحيث أنهم كانوا يجلسون في حلقات للعلم، ضم بعضها آلاف الطلاب، وكان أبو الدرداء من أوائل الذين عقدوا هذه الحلقات بالشام، وقد بلغ تلاميذه ألفا وستمائة ونيفا[3].

فالمساجد في الإسلام دور علم ومدارس تعليم خرجت للأمة الإسلامية علماء أجلاء، وجهابذة نقادا، وأساتذة نحارير، فسروا القرآن، وأبانوا للناس معانيه وحكمه وعلومه ودونوا واستخرجوا صحيحه من زيفه وشرحوا أحكاما ومعاني وألفاظا عربية، واستنبطوا ما فيه من بلاغة وبيان وغيرهما، وتخرجوا في شتى العلوم نحوا وصرفا وعروضا وخطابة وما إلى ذلك من علوم علمية ونظرية[4]. شكل رقم (١٥).

والتعليم في المسجد يكتنفه جو عبادي يشعر فيه المعلم والمتعلم والسامع أنهم في بيت من بيوت الله فيكونوا اقرب إلى الإخلاص والتجرد والنية الحسنة، لا يقصدون في الغالب من التعلم والتعليم إلا

[1] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص٦٠،٦١
[2] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٢٠
[3] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمسجد"، مرجع سابق. ص٢٠
[4] صالح بن ناصر الخزيم، مرجع سابق. ص٣٣

وجه الله، وأهدافهم هي التفقه في الدين، وأداء العمل على وجهه الصحيح والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله[1].



شكل رقم (١٥) الأزهر الشريف – جامعة عملية كبيرة

كما أن الدراسة في المسجد تتميز عن الدراسة في المدرسة، من حيث أن الدراسة في المسجد ليست دراسة نظرية يقصد منها مجرد العلم والمعرفة وإنما هي دراسة تربوية تطبيقية يقصد منها العمل أولا، فلا يكاد الدارس ينتظم في حلقات المسجد حتى يتبدل سلوكه وتسمو أخلاقه ويظهر بمظهر المتزن الحكيم ويقوي إيمانه فينشر هذه الفضائل في أسرته ومن يتصل به من معارفه في المجتمع الذي يعيش فيه[2].

كما أن الطلاب يشعرون بالحرج في تلقي العلوم في الدور، وقد يحس أهل الدار بالإزعاج، ومن هنا نجد زاوية أخرى لتفضيل المساجد على البيوت في تلقي العلم. كما أن عقد المجالس في المسجد تتجلى في توسيع نطاق التعليم، وبهذا لا يقتصر على العامة، وإن خصصت بعض

[1] على بن حسن بن ناصر عسيري، "مسؤولية إمام المسجد"، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ. ص٣٨

[2] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص٦٣

المجالس لطلاب العلم المتخصصين[1]؛ وبهذا لم يكن يقتصر دور المسجد على تعليم طلبة العلم فقط، بل العامة من الناس من خلال الخطبة يوم الجمعة والدروس التي تلقى فيه، فيتعلم الناس أمور دينهم ودنياهم.

ولم تكن حلقات الدروس بالمساجد مقصورة على الدراسات الدينية، وإنما تعدتها إلى سواها من المعارف، فقد درست بالمساجد علوم اللغة والمنطق والطب والميقات[2].

فلا عجب إذن أن يشتق اسم الجامعات الحالية التي تقدم مختلف العلوم في شتى البقاع من أصل كلمة جامع[3].

المسجد دار للرعاية الصحية

روي عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "أصيب سعد يوم الخندق في الأكحل[4] فضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلم يرعهم[5] – وفى المسجد خيمة من بني غفار – إلا الدم يسيل عليهم، فقالوا يا أهل الخيمة. ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو[6] جرحه دما فمات فيها"[7].

[1] المكي أقلاينة، "النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى"، الطبعة الأولى، كتاب الأمة، العدد ٣٤، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ١٩٩٣م. ص٤٠

[2] محمد عبد الستار عثمان، "نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة"، مرجع سابق. ص٥٠

[3] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق.. ص١٧

[4] الأكحل: عرق في اليد (صالح بن ناصر الخزيم، مرجع سابق. ص٥٣).

[5] يرعهم: يفزعهم، والروع بالفتح: الفزع (صالح بن ناصر الخزيم، مرجع سابق. ص٥٣).

[6] يغذو: يسيل (صالح بن ناصر الخزيم، مرجع سابق. ص٥٤).

[7] روى الحديث: البخاري في صحيحه باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم.

قال ابن إسحاق: "وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من اسلم، يقال لها رفيدة، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: "اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب"[1].

يستمد من هذا بعدا اجتماعيا جديدا للمسجد يرتبط بعمارته الاجتماعية، وهو التداوي والتماس الدواء في المسجد، وهذا ما جعل البيمارستانات تلحق بالمساجد في العصور الأولى؛ وإن وضعت في مباني أخرى ملاصقة للمسجد بعد ذلك، ولازال المسجد الجامع يقوم بهذه الوظيفة في الكثير من المجتمعات، من خلال المستوصفات الصحية التابعة للجمعيات الخيرية التي تقدم الخدمات الطبية لأفراد المجتمع وخصوصا الطبقات الفقيرة.

المبحث الثالث: المسجد مؤسسة ثقافية

يعد البعد الثقافي من أهم الأبعاد التي تؤثر في كيان المجتمع وطريقة حياة أفراده، وعندما يرتبط الأمر بالثقافة الدينية فإنه يتخذ أهمية كبيرة، لما لهذه الثقافة من تأثير على حياة الفرد والأسرة والمجتمع، ولما لها من دور فعال في التأثير على كافة أوجه الحياة وأنشطتها المختلفة. ومن أهم الجوانب الثقافية التي ارتبطت بعمارة المسجد ما يلي:

الفقه في الدين

يقع للناس في أمور دينهم ودنياهم أشياء فيها غموض تقلق بالهم، فتهفوا نفوسهم لإزالتها، فيتوجهون إلى المسجد حيث لا يخلو من عالم يفتيهم في أمور دينهم ودنياهم[2].

---

[1] نيل الأوطار جـ٢ ص١٦٢ (جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٥٠).
[2] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٣٦.

وقد روى البخاري عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: "بينما نحن جلوس مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم علقه، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي (صلى الله عليه وسلم) متكئ بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ قال له النبي (صلى الله عليه وسلم): "**قد أجبتك**" فقال الرجل للنبي (صلى الله عليه وسلم): إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك، فقال (صلى الله عليه وسلم): "**سل ما بدا لك**" فقال أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: "**اللهم نعم**"، فقال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: "**اللهم نعم**". قال: أنشدك بالله، آلله أمرك، أن نصوم هذا الشهر (رمضان) من السنة؟ قال: "**اللهم نعم**"، قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "**اللهم نعم**"، فقال الرجل:آمنت بما جئت به، وأنا رسول الله من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر"[1].

مكتبة المسجد والتثقيف

للمكتبة بشكل عام ومكتبة المسجد بشكل خاص دور كبير في نشر الوعي والثقافة سواء الإسلامية أو العامة؛ لما تحتويه من كتب ومخطوطات ومراجع رئيسة في مختلف جوانب الدين وشتى علوم المعرفة. ولهذا تحدث المؤرخون عن مكتبات في معظم المساجد والجوامع كانت مرجعا للطلبة والعلماء والنساخ، وهذا خير دليل على تقدير المسلمين للكتب وإعجابهم بها واهتمامهم بالمكتبات وإقبالهم على

[1] شرح صحيح البخاري للكرماني جـ٢ ص١٦(جاد الحق علي جاد الحق، مرجع سابق. ص٣٩، ٤٠).

شراء الكتب ووقفها على طلاب العلم، فقد أقـــام القــاضي ابــن حبــان فـــي نيسابور بجوار المسجد درا للعلم وخزانــــة للكتــب ومســاكن للغربــاء مـــن طلاب العلم وأجرى عليهم الأرزاق وعين لهم جميــــع مـــا يحتاجونـــه[1].

ولنـــا أن نتخيــل مكتبــات المســاجد وقــد امتــلأت رفوفــها بـــالكتب والمخطوطات والمصورات من كل لغة ومن كل لون ومـــن كــل بلــد، وفـــي مختلف علوم الدين ومجالات المعرفـــة الأخــرى، كمــا يمكننــا أن نتصـــور حال المساجد وهي تعج بآلاف المسلمين من طــلاب العلــم مــا بيــن جــالس في حلقة يستمع لأستاذ أو يسأل، أو منكــب علـــى كتــاب يقــرؤه، أو بـــاحث في مخطوطة يحاول فهم مـــا بــها، أليســت هــذه هــي الصــورة المناسبــية للمجتمـــع الإســـلامي الـــذي بلـــغ يومـــا مـــا أوج الازدهـــار فـــي النهضـــة العلميـــة[2].

الـدروس فـي المسـجد والتـثقيـف

وتعد الدروس الفقهية والعلمية من أهم العناصر التـــي تســاعد فـــي نشـــر الثقافة في مختلف أرجاء المجتمع الإســـلامي. وتلقـــى فـــي المســاجد الكثــير والكثير من الدروس في العبـــادات والمعـــاملات والأخـــلاق، وســـرعان مـــا تؤتي هذه الدروس ثمارها في نشـــر الوعـــي والثقافـــة الدينيـــة بيـــن جمـــوع المصلين وأسرهم والمجتمع في النهايـــة. فـــرب الأســـرة يعلــم أســرته مـــا تعلمه، والصديق يعلم صديقه، والمسافر إلــــى البلــدان الأخــرى ينشــر مـــا تعلمه بين الناس، وهكذا تنتشـــر الثقافـــة الإســـلامية فيتعــرف النـــاس علـــى أمور دينهم ودنيـــاهم.

[1] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمســـجد"، مرجــع ســابق. ص٢٠
[2] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمســـجد"، مرجــع ســابق. ص٢١

المبحث الرابع: المسجد مؤسسة اقتصادية

علاقة المسجد بالنواحي الاقتصادية في المدينة علاقة قوية، وعمارة المسجد الاجتماعية تشمل رسالة أخرى للمسجد يؤديها في المجتمع تتصل بمرتكز رئيس من مرتكزات الحياة ألا وهو الجانب الاقتصادي في المجتمع. ومن أهم الجوانب الاقتصادية التي ارتبطت بعمارة المسجد ما يلي:

المسجد بيت مال المسلمين

لقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقسم الأموال الواردة إليه في المسجد على ذوي الحاجات، فإن لم تكن هناك أموال - وكان الناس في حاجة - دعا الأغنياء إلى البذل والإنفاق، وقام بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين في المسجد أيضا[1].

فقد كان المسجد يتوفر له أموال من الأوقاف، كما كان على اتصال بدواليب الدولة، وبالتالي فهو مصدر مهم لبيت مال المسلمين الذي تعتمد عليه البلاد في تسيير أمورها[2]. كما كان المسجد مكانا لتلقي أموال الزكاة وتصريفها إلى من هم أحق بها، لأن الأمان النفسي الذي يتحقق في المسجد يبعث الثقة في نفوس الناس ويضمن وصول أموال الزكاة بشكل صحيح لمستحقيها.

كما بنيت بيوت المال في المساجد، فعلى سبيل المثال يعد أول بناء لبيت المال في مصر هو ما بنى في جامع عمرو بن العاص، وقد شيده أسامة بن زيد التنوخي متولي خراج مصر من قبل الخليفة سليمان بن

[1] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤٧

[2] عبد الهادي النازي، "عمارة المساجد بين المشرق والمغرب"، ندوة عمارة المساجد، المجلد رقم (١٠)، كلية العمارة والتخطيط، الرياض، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩هـ. ص٤٢

عبد الملك، وكان ذلك في عام ٩٧هـ (٧١٥/٧١٦م). وقد كان بيت المال يبنى على شكل غرفة محمولة على أعمدة، ويتم الوصول إليها من خلال سلم متحرك، وقد كان يوضع في صحن المسجد حتى يسهل مراقبته حتى من قبل المصلين على مدار اليوم[١].

المسجد والأسواق

لقد كانت العلاقة بين موقع المسجد وموقع الأسواق قوية منذ زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذي اختار بنفسه بقيع الزبير المجاور للمسجد موقعا للسوق، وهكذا تم انتهاج هذا المسلك في كافة المدن الإسلامية حيث نجد السوق دائما ملاصقا للمسجد، وقد كانت الأسواق في البداية مفتوحة ولم يسمح ببنائها وتسقيفها إلا في بداية الدولة الأموية، وتختلف الأسواق من حيث حجمها ونوعها بناء على حجم المسجد، فالجامع الرئيس في المدينة يلحق به سوق رئيس، بينما المساجد الأخرى يلحق بها أسواق وأنشطة تجارية أقل، بل إن بعضها قد يقتصر على سوق أسبوعي أو سوق محدد بفترة معينة تبعا لأهمية المسجد وحجمه ومقدار التجمع البشرى الذي يتكون فيه[٢].

وكانت السوق التي أنشأها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة عبارة عن ساحة من الأرض خالية من البناء، سمح لأهل المدينة باستغلالها دون دفع أي أجر، ومنع البناء فيها، وكان نظام الأسواق على سنة المساجد، فمن سبق إلى موضع فهو له حتى يفرغ منه، وقد أكد على ذلك الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما قال:

---

[١] فريد شافعي، مرجع سابق. ص٦٥١، ٦٥٢

[٢] سعد بن سعيد ثقفان، "المسجد في المدينة السعودية بين الواقع والمأمول"، ندوة عمارة المساجد، المجلد رقم (١٠)، كلية العمارة والتخطيط، الرياض، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩هـ. ص١٩٠

"الأسواق على سنة المساجد، من سبق إلى مقعده فهو له حتى يقوم إلى بيته أو يفرغ من بيعه"[1].

وإنشاء الأسواق في المدن الإسلامية كان من محاور النهضة بعمرانها، فهو من متطلبات الجماعة الإسلامية، وهو أحد الركائز الاقتصادية لأن المدن "تتفاضل بالأسواق وكثرة الأرزاق ونفاق الأسواق من تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة"، ومن ثم فإن الازدهار الاقتصادي ينعكس على ازدهار الأسواق وعمارتها[2].

والأسواق بجانب كونها مراكز لتبادل السلع فهي مراكز لتبادل الأفكار والثقافات في أمور الدين والسياسة والاقتصاد، بل هي جانب عملي لتطبيق فقه المعاملات الإسلامية بين البائع والمشتري.

ورغم إقامة المساجد في العصر الحديث بشكل كثير في المدن الإسلامية، وبالتالي في مواقع قد تكون متباعدة عن الأسواق المنشأة في المدن، إلا أننا نلاحظ تجمع الباعة لعرض بعض السلع التجارية بجوار المسجد وخصوصا عقب صلاة الجمعة ممثلة بذلك سوقا متحركا مرتبط بالمسجد.

المسجد مؤسسة للتكافل الاجتماعي

يلعب المسجد دورا في تحقيق الترابط بين أفراد المجتمع، وانسجامهم جميعا في أسرة واحدة، فالغني يجود على الفقير، وإذا وقع أحد أفراد الحي بمصيبة أو أصابته جانحة في ماله وجد من إخوانه من يواسيه ويعيده إلى حال كريمة، فيشعر الفرد أنه ليس مقطوعا، وإن لم يكن له أسرة في بيته، فهو فرد من أسرة كبيرة، فإذا فقد من المسجد

---

[1] محمد عبد الستار عثمان، "المدينة الإسلامية"، مرجع سابق. ص٢٥٣

[2] محمد عبد الستار عثمان، "المدينة الإسلامية"، مرجع سابق. ص٢٥٣

سأل عنه إخوانه على الفور، فإن كان مريضـــا عـــادوه، وإن كـــان مســـافرا تفقدوا أسرته ورعوها كما لو كـــان موجـــودا[1].

المبحث الخامس: المسجد مؤسسة سياسية

ارتبط المسجد بالحالة السياسية في المدينة ارتباطـــا وثيقـــا، ومما يـــدل على التكـــامل الوظيفـــي بينـــهما أن دار الإمـــارة كـــانت مجـــاورة للمســـجد الجامع، قريبة منه أو ملاصقة له، فقد كان لبنـــاء الرســـول (صلـــى الله عليـــه وسلم) منزله ملاصقا للمسجد الجامع المثـــال الأول الـــذي اتبـــع فـــي إنشـــاء دار الإمارة مجاورة للمســـجد فـــي المـــدن الناشـــئة[2]. وبنـــاء دار الإمـــارة ملاصقة للمسجد يعني أن هناك تكاملا وظيفيـــا بينـــهما، فقـــد لعـــب المســـجد دورا كبيرا في الحياة السياسية منـــذ أن أنشـــأ رســـول الله (صلـــى الله عليـــه وسلم) مسجده بالمدينة، فأعطت الحياة السياســـية دورا للمســـجد فـــي تشـــكيل جانب مهم من حياة المجتمع. ومن أهم الجوانـــب السياســـية التـــي ارتبطـــت بعمارة المسجد ما يلـــي:

المسجد دار للقضاء

قـــال تعـــالى: "**وهـــل أتـــاك نبـــؤا الخصـــم إذ تســـوروا المحـــراب * إذ دخلـــوا علـــى داود ففـــزع منـــهم قـــالوا لا تخـــف خصمـــان بغـــى بعضنـــا علـــى بعـــض فـــاحكم بيننـــا بـــالحق ولا تشـــطط واهدنـــا إلـــى سواء الصراط**"[3]. قال الإمام القرطبي في تفسيره: "ليس فـــي القـــرآن مـــا يدل على القضاء في المسجد إلا هذه الآيات"، وبها اســـتدل مـــن قـــال يجـــوز

---

[1] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجـــع ســـابق. ص٦٥

[2] محمد عبد الستار عثمان، وعوض عـــوض محمـــد الإمـــام، مرجـــع ســـابق. ص١١٧، ٢٣٨، ٢٣٩

[3] سورة ص: ٢١-٢٢

القضاء في المسجد، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء يقضون في المسجد[1].

ولقد اتخذ المسلمون المسجد دارا للقضاء، وفي الحكم والقضاء يعنون البخاري بابا سماه: باب من قضى ولاعن في المسجد، ثم قال: ولاعن عمر (رضي الله عنه) عند منبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد، وقضى مروان على زيد بن ثابت باليمن عند المنبر، وكان الحسن وزرارة بن أوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد[2]. وأورد أيضا بابا سماه: باب من حكم في المسجد، وأورد فيه حديث أبو هريرة (رضي الله عنه) في حكمه (صلى الله عليه وسلم) على ماعز (رضي الله عنه) وهو في المسجد ما ورد بسنده إلى أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو في المسجد فناداه فقال: يا رسول الله إني زنيت فأعرض عنه، فلما شهد على نفسه أربعا قال: "**أبك جنون**" قال: لا، قال: "**اذهبوا فارجموه**"[3].

وكان المسجد مكانا للقضاء بين المتخاصمين، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينا كان له عليه فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو في بيته فخرج حتى كشف سجف حجرته فنادى يا كعب، قال: لبيك يا رسول الله: قال، ضع من دينك هذا، وأومأ إليه أي الشطر، قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال: قم فاقضه[4].

وقد كان شريك بن عبد الله يقضي في مسجد الكوفة، وبينما هو ذات يوم في مجلس الحكم، وقد فرغ من آخر قضية، وإذ بامرأة تقدم عليه

---

[1] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤١.
[2] ذكره البخاري ١٥٤/١٣ (فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٢٢).
[3] روى الحديث: البخاري في الأحكام باب من حكم في المسجد.
[4] روى الحديث: البخاري في الصلاة، باب التقاضي والملازمة في المسجد.

فتقول له: أستجير بالله وبك يا ناصر المظلومين. قال لها شريك: من ظلمك؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين المهدي. قال القاضي: كيف؟ فقالت كان لي بستان فيه نخل على شاطئ الفرات، ورثته عن أبي، وتقاسمته أنا وإخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطا، وأقمت أعواما أقبض غلة بستاني، وأنفق منها على نفسي وأولادي، وأصلح من شأنه حتى صار أحسن بساتين إخوتي وأعظم غلة، ثم اشترى الأمير موسى بن عيسى بساتين إخوتي، ورغب في أن يشترى بستاني ورغبني وساومني فأبيت أن أبيعه، فهددني وتوعدني، فلم أخش تهديده فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فهدموا الحائط وسووا ما بين بستاني وجاره، فأصبحت لا أعرف نهاية بستاني، واختلط نخلي بنخله، وزرعي بزرعه. فكتب القاضي إلى الأمير ذاكرا له مقالة المرأة، وأمره بالحضور في مجلس الحكم .. ثم حضر الأمير إلى مجلس الحكم، وجلس شريك بن عبد الله في مجلس القضاء، واستدعى المرأة المتظلمة، وقال لها: هذا خصمك قد حضر، ثم سأل الأمير عما تدعيه المرأة فأجاب: صدقت. فقال له القاضي شريك: إذا ترد ما أخذت منها وتبني حائط سريعا كما كان. فقال الأمير: سمعا وطاعة. فقال القاضي للمرأة: هل بقى لك شيئ؟ قال: لا .. وبارك الله عليك وجزاك خيرا[1].

ويمتاز القضاء في المسجد بأنه يعمل على تخفيف المشكلات، وتخفيف المراجعات وجهات السلطة، وعدم إطالة وتعقيد المشكلات، وسريان روح التفاهم بين المتخاصمين، وإيجاد سبل للتعاون بين أبناء المجتمع، والقضاء على كثير من المشكلات والمنكرات[2]. من قبل أن تتفشى في المجتمع.

على أنه تحرم إقامة الحدود في المسجد لما روى حكيم بن حزام قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**لا تقام الحدود في المساجد**

[1] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٤٤، ٤٥.
[2] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٢٢

ولا يستفاد فيها"[1]. وعن طارق بن شهاب قال: أتى عمر (رضي الله عنه) برجل في شيء فقال: أخرجاه من المسجد فاضرباه[2]. ولما تقدم من القضاء على ماعز (رضي الله عنه) حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**اذهبوا فارجموه**" (تقدم الحديث)، أي أن تنفيذ الحكم يكون خارج المسجد.

المسجد مقر للشورى

قال تعالى: "**.. وأمرهم شورى بينهم ..**"[3]، كما قال سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه: "**.. وشاورهم في الأمر ..**"[4]. وقد كانت أغلب مشاورات الرسول (صلى الله عليه وسلم) تتم في المسجد، وكذا صحابته الكرام من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيميه (رحمه الله): "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم)، أسس مسجده المبارك على التقوى، فيه الصلاة والقراءة، والذكر، وتعليم العلم، والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم، وكذلك عماله في مكة، والطائف وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى، وكذلك عماله على البوادي، فإنه لهم مجمعا، فيه يصلون، وفيه يساسون"[5].

والمسجد بهذا منتدى تشاور ومحك خبرات وصقل مواهب ومتلاقح أفكار، وميدان لتبادل الآراء في عرض أي مشكلة تهم المسلمين لحلها

---

[1] روى الحديث: أحمد.
[2] مصنف عبد الرازق ٤٣٦/١ باب هل تقام الحدود في المسجد (صالح بن ناصر الخزيم، مرجع سابق. ص٦٧).
[3] سورة الشورى: ٣٨
[4] سورة آل عمران: ١٥٩
[5] فالح بن محمد بن فالح الصغير، مرجع سابق. ص٢٦،٢٧

ورأب صدع الخلاف فيها حتى يلتئم الشمل وتتحد الكلمة فلا يجد العدو منفذا لإفساد صف المسلمين وتفريق جمعهم[1].

ففي المسجد يكون المسلم بعيدا عن هوى النفس ونزغات الشيطان[2]، وهما ما يلعبان الدور الكبير في إبداء الرأي وخصوصا في الأمور السياسية.

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري قال: حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر (رضي الله عنه) في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر (رضي الله عنهما)، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدا عهده إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة قبل بيعة السقيفة[3].

المسجد مكان لاستقبال الوفود والسفراء

وكان المسجد أنسب مكان لاستقبال الوافدين من أبناء الإسلام وأهل الكتاب في أي وقت ومن أي مكان، وهو ما يمكن أن يتشابه مع دور وزارة الخارجية في عصرنا الحالي. ومن هذه الوفود كان وفد عبد

[1] صالح بن ناصر الخزيم، مرجع سابق. ص٣٠

[2] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٣٦

[3] سيرة ابن هشام جـ٢ ص١٠٧٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٩ (جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٣٦).

القيس، ووفد بني سعد بن هذيم، ووفد نصارى نجران، ومما روي في شأن وفد عبد القيس، كان من خبرهم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان جالسا بين أصحابه يوما فقال لهم: سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق، لم يكرهوا على الإسلام، قد أنضوا الركائب، وأفنوا الزاد، اللهم اغفر لعبد قيس، فلما أتوا ورأوا النبي (صلى الله عليه وسلم) رموا بأنفسهم عن الركائب باب المسجد، وتبادروا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسلمون عليه، وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج، وكان أصغر سنا، فتخلف عند الركائب حتى أناخها، وجمع المتاع، وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما، ثم جاء يمشي هونا حتى سلم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان رجلا دميما، ففطن لنظر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى دمامته. فقال يا رسول الله، إنه لا يستقي في مسوك جلود الرجال، وإنما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه، فقال (صلى الله عليه وسلم): إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة. وقد قال (صلى الله عليه وسلم) لهذا الوفد: مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى، فقال: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل، فقال: آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت – والمراد بذلك ما ينبذ في هذه الأواني – فقال الأشج: يا رسول الله، إن أرضنا ثقيلة وخمة، وإن لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا، فرخص لنا في مثل هذه وأشار إلى يده، فأومأ – عليه الصلاة والسلام – بكفيه، وقال: يا أشج، إن رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه – وفرج بين يديه وبسطها – حتى إذا ثمل أحدكم من شرابه قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف، وإنما خص – عليه الصلاة والسلام – نهيهم بما ذكر لكثرة الأشربة بينهم[1].

[1] نور اليقين ص٢٦١ – ٢٦٣ (جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٥٠:

المسجد مكان لتجهيز الجيوش

وكان المسجد منطلقا للجهاد يربى فيه الجنود الأشداء الأقوياء بإيمانهم، الآخذون تعاليم المجاهدة والمرابطة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يربيهم بكتاب الله تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**"[1]. وفي المسجد كانت تعقد الألوية والرايات، ومنه تسير الجيوش غازية فاتحة، معلية كلمة الله، رافعة راية الإسلام خفاقة مرفوعة، يقوي عزمها الإيمان القوي في الله، ويشد عضدها القادة المخلصون الأوفياء، الذين باعوا أنفسهم ثمنا للجنة[2].

ولا عجب في أنه عندما رأى المقوقس حال المسلمين وهم يؤدون الصلاة في خشوع وانضباط، أن يندهش ويعترف بأن المسلمين لو استقبلوا الجبال لأزالوها، وإنما قال ذلك بناء على تجاربه الحربية، وإدراكه بأن التفوق الأخلاقي يترتب عليه التفوق الحربي[3].

التدريب في المسجد على طاعة ولي الأمر

يقول الحق تبارك وتعالى: "**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**"[4].

إن المتأمل لأداء فريضة الصلاة في المسجد يجد فيها دروسا كثيرة وفضائل جمة، ومن هذه الدروس تعويد وتربيته المسلم على اتباع

---

(٥١).

[1] سورة آل عمران: ٢٠٠

[2] صالح بن ناصر الخزيم، مرجع سابق. ص٢٧

[3] عبد العزيز عبد الله الحميدي، مرجع سابق. ص٥٢

[4] سورة النساء: ٥٩

وطاعة ولي الأمر والانضباط في الأمور؛ حيث يقـف المسـلم وقفـة معينـة في صف منتظم لا يتقدم فيـه أحـد عنـه ولا يتـأخر، ويـؤدي المصلـون جميعا على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم وأجسـامهم حركـات معينـة قيامـا وركوعا وسجودا وجلوسـا خلـف إمـام واحـد يضبطـون حركتـهم علـى حركته وسكونهم علـى سـكونه فـلا يتقدمـون عليـه ولا يسـاوونه وإنمـا يتأخرون عنه[1]، خصوصا وأن الإمام فـي بـادئ الأمـر كـان رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن بعده أمير المؤمنين، ثـم الحـاكم أو الأمـير، ثـم الشيخ العالم الفقيه في الديـن.

[1] سعود بن سعد بن محمد آل رشـود، مرجـع سـابق. ص٣٤

الفصل الرابع

نحو عمارة معاصرة للمسجد

حدثت في العصر الحديث أحداثاً مثيرة وتطورات جمّة، شملت النواحي الاجتماعية والإنسانية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وأصبحت عوامل فاعلة في التأثير على المحتوى المادي والاجتماعي والنفسي لكل نشاط حياتي يؤدى في المجتمع؛ فتأثرت التركيبة البنائية والمعنوية والاجتماعية لكل نشاط وبدأ التغير في أسلوب القيام بهذه الأنشطة سواء في أسلوب تقديم النشاط أو في طبيعة الاتصال بينه وبين الأنشطة الأخرى، ومدى تأثيره على كيان المجتمع.

أضف إلى ذلك تطورات عصر العولمة وما أفرز في نهاية الحقبة الأخيرة من القرن العشرين من تطورات رهيبة في المعلومات وأسلوب الاتصال على مستوى المجتمع القرية والمجتمع المدينة والمجتمع الدولة والمجتمع الأمة، والصياغة التي يتجه إليها العالم نحو ما يسمى "المجتمع العالم"، والذي تحتويه ما يسمى "القرية الكونية الواحدة"، وطبيعة الحياة الإلكترونية التي يتوقع أن يعيشها الإنسان في القرن الحادي والعشرين، والتي بدأت تتعاظم في هذه الآونة وتتطور بشكل فعال ومرعب.

ولأن العمارة هي المرآة التي تنعكس عليها حياة الشعوب؛ فكان من الطبيعي أن تنعكس هذه التطورات على المباني الموجودة في المدينة، وهنا تبقى وقفة، إذ من الطبيعي أن يحدث ذلك التأثر الذي حدث لعمارة المسجد المعنوية والبنائية والاجتماعية، والتي تمثلت أخطر ما فيها في تقلص بعض الجوانب التي تؤديها عمارة المسجد المعنوية والاجتماعية على وجه الخصوص، وإذا كان المسجد ليس بناءً مادياً فقط كبعض المباني التي تنشأ في المجتمع، إنما هو بناء معنوي واجتماعي في نفس

الوقت، فهنا تبدو التساؤلات المتعاقبة على درجة عالية من الأهمية، إذ أنه في ظل هذه التطورات التي حدثت في المجتمع، والتي أدت إلى هذا التأثير الذي حدث لعمارة المسجد، يبدو التساؤل عن ماهية عمارة المسجد في العصر الحالي؟ وكيف يمكن الاستفادة من المسجد كمؤسسة فاعلة في المجتمع؟ وكيف يمكن أن يحدث التكامل بين المسجد والمؤسسات الأخرى التي انفصلت عنه في كيانات مستقلة بعد أن كانت يوماً ما من صميم عمارته المعنوية والاجتماعية لكي يعود للمسجد دوره النشط والفعال في بناء الفرد والأسرة والمجتمع والأمة؟ هذا ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أوجدت هذه التطورات تغيرات إيجابية في التقنيات التي تتحكم في طبيعة العمائر البنائية في المجتمع، وهنا يبدو التساؤل أيضاً عن مدى وكيفية الاستفادة من التقنيات في تحقيق عمارة بنائية للمسجد على درجة عالية من الكفاءة التي يمكنها أن تتوافق مع الجانب المعنوي والاجتماعي لعمارة المسجد، من دون أن تخرج به عن كيانه الروحي والحسي الذي انطلق من تعاليم الدين الإسلامي؟

تلك هي التساؤلات الرئيسة التي تمثل محاولة التوصل إلى إجابة مقنعة لها المحتوى المعرفي لهذا الفصل، والذي اخترنا له عنونا "نحو عمارة معاصرة للمسجد".

المبحث الأول: عمارة المسجد بين الثوابت والمتغيرات

عمارة المسجد في محاورها المعنوية والبنائية والاجتماعية ارتبطت منذ نشأتها بمجموعة من الثوابت المستمدة من العقيدة، وما كانت عليه عمارة المسجد النبوي منذ أن أنشأه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما تعاقبت عليه من إضافات في عهد الصحابة (رضي الله عنهم).

ومع التغيرات التي حدثت في المجتمع الإسلامي في كافة مناحيه الاجتماعية والإنسانية والثقافية والاقتصادية والسياسية، ومع العلم بأن

من هذه التغيرات ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي، ومع قبول الإسلام للتطور الحضاري الإيجابي بل وحثه عليه، فإن عمارة المساجد في العصر الحديث – في محاورها الثلاثة المعنوية والبنائية والاجتماعية – أصبحت تدور في إطار ما بين الثوابت والمتغيرات.

وإن كانت العمارة تحمل قضيتي المضمون والشكل بين دفتيها، والمضمون يتمثل في الهدف من البناء بل قل جوهر عملية البناء ذاتها، أما الشكل فهو الإطار المادي الذي يغلف هذا المضمون؛ فإن العمارة المساجدية لهي من أوضح أنواع العمائر فيما يتعلق بقضية المضمون وقضية الشكل.

ومن خلال العرض السابق لعمارة المسجد يمكن أن نلحظ بشكل سريع أن المضمون في عمارة المسجد هو الذي ارتبط بالثوابت أما الشكل فهو المتغير، وما يؤكد ذلك أن هناك نصوصا واضحة وصريحة فيما يخص المضمون، بينما لا نجد ذلك فيما يخص الشكل، وما يؤكده أيضا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقبل كل تطور يضاف للشكل في مسجده مثل عملية الفرش بالحصا أو الإضاءة بالقناديل لأن ذلك ييسر وظيفة المسجد – وبشرط أن يحدث ذلك ولا يتعارض مع قيم إسلامية مهمة مثل التوسط وعدم الإسراف أو التبذير والبعد عن المغالاة والمباهاة، ولا يعارض نصاً – ولكنه لم يقبل الزخرفة لأنها تؤثر على المضمون في صرف نظر وذهن المصلين.

وفقه التطور في سعة المسجد النبوي وفى تغيير مواد البناء في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قام على مبدأ أنه لا ينبغي أن يتخلف المسجد في عمارته ومنشآته عما اتخذه المسلمون في بيوتهم ومنازلهم من مواد بناء، وفنون إقامتها، وجمال هندستها، ووفائها بمهامها، واستحداث ما استحدث من أنواع الفرش دون إسراف أو ترف[1].

[1] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص١٠٩،

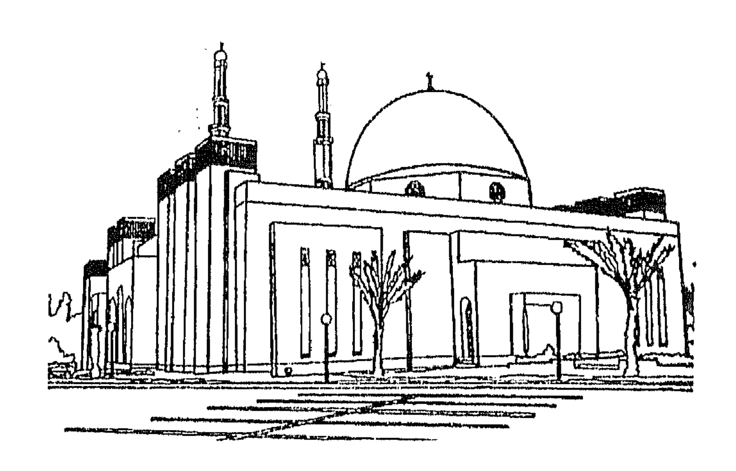
وبربط قضية المضمون بالثوابت والمتغيرات، يمكن أن نلتمس إطار نظري لعمارة المسجد – في محاورها الثلاثة – في العصر الحالي، من خلال حالتين؛ إما أن يكون هناك ثبات في المضمون وتغير في الشكل، أو تغير في الشكل والمضمون معاً.

عمارة المسجد المعنوية بين الثوابت والمتغيرات

من الثوابت – فيما يخص عمارة المسجد المعنوية الروحية – المحافظة على المسجد كبيت للعبادة تؤدى فيه الصلوات الخمس، وهذه قضية لا مناقشة فيها لا من حيث الشكل ولا المضمون فهى الشكل والمضمون عندما يندمجا في إطار واحد، ولا تتغير مهما تغيرت أحوال المجتمع وظروفه. وليتنا نعمر بيوت الله ليس بالصلوات فقط، ولكن بالقرآن والذكر والرباط والاعتكاف وغير ذلك.

أما عمارة المسجد المعنوية الحسية، فهي ضرورية لأداء العبادات في المسجد، ولا يمكن للمسجد أن يؤدي وظيفته بدونها، فالإضاءة مطلوبة والتهوية كذلك ووضوح الصوت ونظافة المسجد أيضاً، وهذه الأمور يعد توفيرها مساعدة كبيرة في تحقيق مضمون عمارة المسجد عن طريق تحقيق مكان مناسب لأداء العبادات، وإن تنوعت الأساليب في العصر الحالي بما أتاحته التقنيات المتطورة في التوصل إلى أشكال متنوعة للإضاءة والتهوية. فقد أصبح بالإمكان دمج الإضاءة مع فكرة تشكيل الحيز الداخلي بعمل إضاءة مناسبة غير مباشرة تختفي فيها مصادر الضوء وتضئ الأسقف أو الحوائط أو دخلات بينهما، أو غيرها من أشكال الإضاءة. كذلك أمكن التوصل إلى تقنيات التهوية الصناعية سواء من خلال المراوح الكهربائية أو أجهزة التكييف، أو تطوير أنظمة التهوية الطبيعية مثل تطوير ملاقف الهواء لتصبح أبراج تبريد طبيعية مثل الفكرة المطبقة في مسجد جامع الرحمانية بمدينة سكاكا في منطقة

الجوف بالمملكة العربية السعودية[1]. شكل رقم (١٦). كما أنـــه مــن خـــلال التطور في علوم الصوتيات أمكن التوصل إلـــى الأشــكال الهندســية الأكــثر ملاءمة للحيزات التي تتطلب تصميم صوتي خـــاص مثــل المســجد، كذلــك الحال بالنسبة لاستخدام مواد ماصـــة للصــوت.



شكل رقم (١٦) جامع الرحمانية بمدينة سكاكا بالمملكة العربية السعودية[2]

مثل هذه الأمور تعــد شــكلية ولا حــرج فيــها ويؤخــذ فيــها بمقــدار التطور الذي حدث وهذا هو التغــير المتطــور، إذا أن الرســول (صلـــى الله عليه وسلم) قد أقر ذلك عندمــا وافــق علــى تعليــق القنــاديل فــي مســجده

[1] لمزيد من المعلومات عن الفكـرة المطبقـة فـي هـذا الجـامع أنظـر: نـاصر عبـد الرحمن الحمدي، "تطبيقات نظم التبريد الطبيعية السلبية علـــى المبــاني الصحراويــة فــي المملكة العربية السعودية"، المؤتمــر المعمــاري الثــالث (عمــارة وتخطيــط الصحــراء) قسـم العمــارة، كليــة الهندســة، جامعــة أســيوط، أســيوط، ١٧-١٩ نوفمــبر ١٩٩٧م. ص١٨،١٩(جزء جـــ).

[2] ناصر عبد الرحمن الحمدي، المرجـــع الســابق. ص١٩

(صلى الله عليه وسلم)، كما أقر ذلك الخلفاء الراشدون من بعده، بل أضافوا للمسجد النبوي فيما يخص مثل هذه الأمور التي لا تؤثر على المسجد كمبنى للعبادة، بل تساعده على القيام بدوره.

أما فيما يخص الزخرفة والألوان، فهناك نهى واضح عنها، لأنها تؤثر في مضمون المسجد وتؤثر في وظيفته، وعلى المصلي القائم الراكع الساجد؛ فتصرف نظره وتشغل عقله وهو مما نهي عنه شرعا في الصلاة. والنهي عن الزخرفة من الإعجاز في هذا الدين، إذا أنه وفى القرن العشرين ظهرت نظريات معمارية مثل النظرية العضوية والوظيفية والعمومية وغيرها، وكلها تدعو في مضمونها إلى البساطة في عملية البناء، فها هو المعماري "فرانك لويد رايت" يقول فيما يخص الزخرفة الزائفة في إطار الدعوة إلى الزخرفة العضوية النابعة من حقيقة المادة وحقيقة البناء: "الزينة تكون من طبيعة المادة ولونها وملمسها. وأما الزخرفة (الملصوقة) فيجب أن تذهب إلى سبيلها ..إلا إذا كانت جزءا متكاملا من التصميم، في تكوين فكرتها وفى التنفيذ .. لا يمكن أن تكون الزينة مطبقة على العمارة .. إن لم تكن نامية من داخل طبيعة العمارة كجزء عضوي من التعبير المعماري فهي تتلف الأمر كله، مهما كانت جميلة أو بارعة في ذاتها"[1]، وهو هو المعماري "ميس فان درروه" يقوم بتبسيط عناصر المبنى إلى أقل ما يمكن، وهو ما سمى "البساطة المتناهية". وإذا كانت مثل هذه الدعوات من أجل ارتباط الزخرفة بقضية الفن المعماري وإحساس المشاهد، فما بالنا بقضية الزخرفة وعلاقتها بأمر ديني يتصل بتأثيرها السلبي على خشوع المصلين. وإن كانت المساجد قد جعلت للصلاة لما يتوفر فيها من هدوء وسكينة تبعث على الاطمئنان في الصلاة فلا يجب أن يضيع هذا الجو بعمل الملهيات مثل الزخارف والزينات. ونحن نتساءل ما هي المشكلة في عمل حوائط المسجد الداخلية ملساء بدون زخرفة (مثل مسجد

[1] سامي عرفان، "نظريات النظرية العضوية"، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧م. ص٥٠

شرف الدين الأبيض بالبوسنة)، شكل رقم (١٧)[١] وبلون أبيض يوحي بالنقاء والصفاء أو بيج فاتح، أو ألوان أخرى مثل الأخضر الفاتح. إن الجمال الذي يرتبط بعمارة المساجد ليس جمالاً حسياً يتطلب وجود عناصر معمارية قد تكون زائدة عن الحاجة من أن يتحقق الإحساس به في المبنى، ولكنه جمال روحي نابع من دور هذا المبنى وارتباطه بالنواحي الحسية والروحية للإنسان مهما كان شكل المسجد الذي يصلى فيه.



شكل رقم (١٧) منظور داخلي في مسجد شرف الدين الأبيض بالبوسنة[٢]

عمارة المسجد البنائية بين الثوابت والمتغيرات

أما عن عمارة المسجد البنائية، فأول ما يقابلنا منها هو اختيار موقع المسجد، وهناك ثوابت لابد من الحفاظ عليها، في الأرض التي تصلح

[١] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦١

[٢] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق.

للمسجد من حيث الملكية والطهارة وانتفاع الناس بها وعلاقتها بالمقابر وعلاقتها بالمساجد القائمة، أما فيما عدا ذلك فهي أمور متغيرة مثل شكل الأرض المخصصة للبناء، وعلاقتها بالمناطق السكنية، وخصوصا بعد زيادة الكثافات السكانية وامتداد المدن بحيث أصبحت مترامية الأطراف.

أما عن عناصر المسجد المعمارية فمنها ما هو مرتبط بثوابت واضحة في المضمون ومتغيرة في الشكل، ومنها ما هو متغير في الشكل والمضمون، فحيز الصلاة كعنصر في المسجد واجب وضروري وإلا كيف يمكن أن يسمى مسجدا، بينما هو متغير في الشكل، وإن ارتبط الشكل بضوابط الصفوف في الصلاة، حيث لم نجد شكلا محددا منصوص عليه بالوجوب، والاقتداء جاء من شكل حيز الصلاة في مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم). بينما مصلى النساء متغير في الشكل والمضمون لأن أمر ذهاب النساء إلى المسجد أمر يرتبط بضوابط محددة كما أن الأفضلية أطلقت لصلاة المرأة في بيتها. ورحبة المسجد (الصحن) وجدت من أجل مضمون روحي وهو شعور المسلم بالاتصال بالسماء من خلال هذا العنصر المفتوح والتي يساعد أيضا على تحقيق بعض جوانب العمارة الحسية فيما يخص الإضاءة والتهوية وامتصاص الضوضاء، وهذا العنصر محل إشكالية تواجه تصميم المسجد في العصر الحديث؛ وخصوصا مع نقص الأراضي المخصصة لبناء المساجد وقلة مسطحاتها بجانب الحاجة إلى مسطح كبير لحيز الصلاة، مما دعي البعض إلى سقف الفناء الموجود في المسجد القديم وضمه إلى قاعة الصلاة لتأمين المصلين من الحر والمطر. وأما المقصورة فهي متغيرة في المضمون إذ لا حاجة لها الآن حتى وإن وجدت في المسجد الذي يصلي فيه ولي الأمر أو الحاكم فلا جدوى من وجودها في جميع المساجد. كذلك فرضت التغيرات الاجتماعية – فيما يخص الكثافات السكانية المرتفعة التي تسكن على مسطحات محدودة من الأرض، ومع قلة الأرض الصالحة للبناء وارتفاع تكلفتها – التوجه نحو توسعة المسجد من أعلى ومن أسفل لاستغلال ذلك، وقد أتاحت التقنيات

المتطورة إمكانية تحقيق ذلك بشكل آمن ويحقق الاستخدام الوظيفي المريح، فيوجد على سبيل المثال سلالم كهربائية متحركة في الحرم المكي لتسهيل الانتقال بين الطوابق المختلفة.

وهناك عناصر لابد من وجودها ولكن لها ضوابط في المضمون بينما الشكل مطلق سواء لأنها تلعب دورا واضحا في تحقيق الاستخدام الوظيفي المريح أو لأنها ارتبطت بالجوانب الحسية، مثل المحراب والمداخل والنوافذ والمنبر والمئذنة، ففيما يرتبط بالمضمون فيلزم تواجد المحراب في حائط القبلة والمداخل في الحوائط الخلفية والنوافذ أيضا، أما عن الشكل فهو متروك طالما يلتزم بالضوابط العامة للشريعة وبما يحقق البساطة لعمارة المسجد، فليس من المعقول أن يبلغ ارتفاع بوابة مدخل مسجد السلطان حسن بالقاهرة ٣٥ مترا[١] على سبيل المثال، فهذا قد تحول المقياس في العنصر إلى المقياس التذكاري وهو ما لم تكن عليه عمارة المساجد في العصور الأولى، كذلك المئذنة وان انتهى مضمونها الوظيفي فلازال مضمونها الروحي يرتبط بعمارة المسجد كرمز وعلامة دالة عليه. أما عن دورات المياه والميضأة فهي من العناصر المكلمة لوظيفة المسجد وخصوصا بعد التطورات التي حدثت ومن أهمها تيسير سبل الحياة من ضخ المياه في صنابير والتحكم في تصريفها من خلال شبكات خاصة وتقدم عمليات عزل المياه والرطوبة في المناطق المعرضة لذلك في المبنى، ويلزم هذا التواجد أن لا يتعارض مع بعض الضوابط الخاصة بوضع دورات المياه وعلاقتها بالقبلة وعلاقتها أيضا بحيز الصلاة ومداخل المسجد. أما عن تأثيث المسجد فلا مانع من ذلك طالما أنه يحقق راحة للمصلين وطهارة في المكان وسهولة في التنظيف، والأرضيات منها الصلب (البلاط والرخام وغيرها) ومنها اللين (الموكيت والسجاد) مع مراعاة عدم الزخرفة في الأرضية والبعد عن اللونين الأحمر والأصفر، لذا تفضل الأرضية

[١] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦٥

الصلبة الملساء ذات اللون الواحد مثل أرضية الحرم المكي، أو الموكيت ذو اللون الواحد ويفضل الأخضر ليبعث الطمأنينة والتركيز وخصوصا أن موضع الأرضية هو موضع نظر المصلي وسجوده، ومما يؤسف له أنه رغم التحذير بعدم استخدام اللونين الأحمر والأصفر - كما سبق ذكره - إلا أن معظم السجاد السائد في فرش أرضية المساجد يحتوي على زخارف بأغلبها باللونين الأحمر والأصفر!.

كذلك لا مانع من إضافة بعض العناصر المعمارية الأخرى التي تكمل وظيفة المسجد ولا تخل من مضمونه المعماري؛ مثل توفير أماكن خارجية لانتظار السيارات وساحات خارجية لوقوف المصلين فيها عقب انتهاء الصلاة، مما يتيح التحدث في بعض الأمور كمحاولة فهم شيء أو تدارس قضية أثيرت في الخطبة، وحتى لا يكون خروجهم مباشرة على الشارع لما فيه من خطورة بسبب السيارات، كذلك يمكن إضافة سكن للقائمين على المسجد كالإمام والمؤذن وخادم المسجد ونحوهم، بجانب عناصر أخرى كعمل دواليب صغيرة تكفي لوضع حذاء المصلي وبعض المتعلقات البسيطة، وقد رأيت في أحد المساجد في دمشق بسوريا هذه الدواليب ولها مفتاح بحيث يحتفظ به المصلي حتى يفرغ من صلاته، فيكون في اطمئنان إلى أمتعته، ويمكن توزيعها على الأماكن المختلفة في المسجد من دون أن يؤثر ذلك على حيز الصلاة.

أما عن العناصر الإنشائية وهي الأساسات والحوائط والأرضية والسقف والأعمدة فهذه بنى مادية لابد منها لتحقيق البناء الحسي والاجتماعي، وقد تطورت تقنيات مواد البناء وأساليب الإنشاء تطورات مذهلة، مما أمكن معه التغلب على المشكلات التي صاحبت مواد وأساليب البناء التقليدية التي كانت سائدة في العصور السابقة[1]. تبقى إشكالية وجود الأعمدة في حيز الصلاة، فهذا العنصر له صلة بالضوابط

---

[1] نوبي محمد حسن، "دور مواد البناء الحديثة في تطور الفكر المعماري في القرن العشرين"، مؤتمر مواد البناء العربية والتحديات الاقتصادية، مركز القاهرة الدولي للمؤتمرات، القاهرة، ٩-١٢أبريل ٢٠٠٠م. ص١

المستمدة من الهدى النبوي في عدم قطع الصفوف أثناء الصلاة، وكراهية الصلاة بين الأعمدة وخصوصا بالنسبة للمأمومين وعند سعة المسجد، ولهذا يلزم توفير حيز للصلاة خال من الأعمدة بقدر الإمكان، ويعكس لنا ماضي العمارة الإسلامية محاولة المعماريين تحقيق ذلك، فها هو المعماري "سنان باشا" يحقق مسطحات كبيرة داخل حيز الصلاة بلا أعمدة في المساجد التي أنشأها في تركيا، والتي بلغت أفضل صورها في جامع السليمية الذي بناه للسلطان سليم الأول في أدرنه، حيث تغطى حيز الصلاة قبة ضخمة يبلغ قطرها ٣١,٥ مترا، شكل رقم (١٨)، وفى وصف هذا الإنجاز يقول سنان: " .... ولهذا قررت مستعينا بالله – إقامة هذا المسجد – في عهد السلطان سليم خان، جاعلا قبته أوسع من آيا صوفيا بمقدار ستة أذرع في الارتفاع، وأعمق منها بمقدار أربعة أذرع"[١]، وفى العصر الحديث أمكن تحقيق حيزات للصلاة بدون أعمدة عائقة للصفوف في العديد من المساجد كما في مسجد شرف الدين الأبيض بالبوسنة ومسجد الجمعية الوطنية بأنقرة[٢]. أما بالنسبة للسقف فإنه يمكن الاستفادة من تقنيات البناء الحديث في عمل فروق متدرجة في السقف لإدخال الإضاءة والتهوية الطبيعية، كما في مسجد الجمعية الوطنية بأنقرة[٣]، وإن كانت قضية استخدام القباب في المساجد ليس فيها نهي صريح، كذلك الحال بالنسبة لأي طريقة إنشائية جديدة يمكن أن تعطي أشكالا جديدة للسقف، فلا مانع من استخدام أي طريقة بشرط ألا يحدث هناك مغالاة في الاستخدام، فليس من المنطقي أن يكون ارتفاع القبة في جامع السليمية ٤٣ مترا[٤] (أي عمارة سكنية بارتفاع ١٤ طابقا)، أو أن ينتج عنها شكل غير متوافق مع ضوابط حيز الصلاة

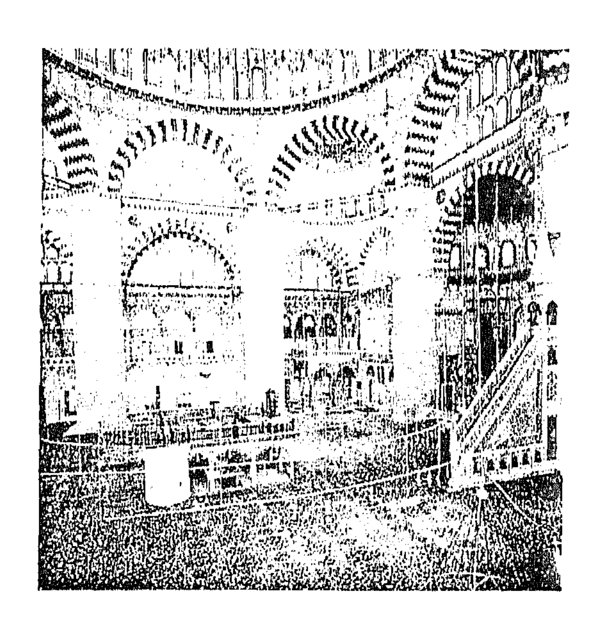
[١] أوقطاي أصلان آبا، ترجمة أحمد محمد عيسى، "فنون الترك وعمائرهم"" مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا)، استنبول، ١٩٨٧م. ص٢٠٢

[٢] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦٠، ٦١

[٣] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦٠

[٤] أوقطاي أصلان آبا، ترجمة أحمد محمد عيسى، مرجع سابق. ص٢٠٢

كالشكل الدائري غير محدد التوجيه والذي يعطى صفوف أمامية أقل في الطول، كما في مسجد النيلين بالخرطوم[1]، شكل رقم (١٩). كما يجب الحذر من استخدام مفردات اللغة التشكيلية الجديدة[2] التي أوجدتها مواد وطرق الإنشاء الحديث، فليس من المعقول مثلا أن يصمم حائط القبلة بالكامل من الزجاج كما في مسجد الجمعية الوطنية بأنقرة، بل ولم يكتف بهذا بل جعل هذا الحائط يشرف على بحيرة من الماء والمزروعات[3]، مما يلهي المصلي في الصفوف الأولى.



شكل رقم (١٨) منظور داخلي في حيز الصلاة بجامع السليمية بادرنة [4]

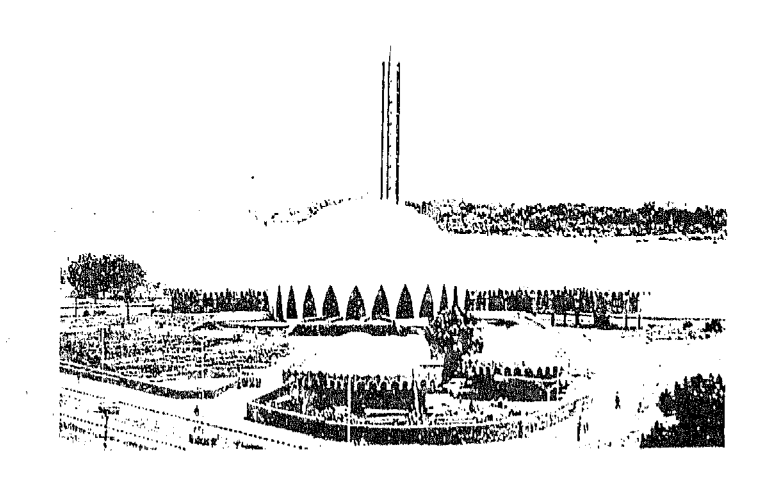
---

[1] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦٧

[2] نوبي محمد حسن، "دور مواد البناء الحديثة في تطور الفكر المعماري في القرن العشرين"، مرجع سابق. ص١٢

[3] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق. ص٦٣

[4] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق.



شكل رقم (١٩) مسجد النيلين بالخرطوم [١]

وبالنسبة لهيئة المسجد المعمارية فيلزم الحفاظ على تحقيق هيئة داخلية بسيطة بشرط ألا تكون فقيرة من الناحية التشكيلية، فقد أصبح بالإمكان استخدام مواد بناء جديدة في عمل تشكيلات داخلية في أصل البناء تتسم بالبساطة، مع التركيز على أن الإحساس بالجمال داخل المسجد يعتمد على الجمال الروحي وليس الحسي، فالسعادة التي تتحقق في المسجد مردها إلى التوفيق لعمل الطاعة وحسن العمل والإخلاص فيه، وليس بالنظر إلى بناء المسجد.

أما بالنسبة للهيئة الخارجية، فالبساطة أيضا هي الأساس الفكري والمطلب المهم في إنشاء المسجد، بشرط عدم التكلف وألا يخرج عن المعقول والمقبول في الإحساس بهيئة المسجد ووقاره، ويمكن في هذه الحالة الاستعانة ببعض العناصر والمفردات التشكيلية التي ارتبطت

[١] نوبي محمد حسن، "خصائص التفكير في تصميم الحيز الداخلي للمسجد"، مرجع سابق.

بالموروث الثقافي لدى العامة والخاصة من الناس. مع الأخذ في الاعتبار أن احترام مبنى المسجد والإحساس بوقاره لا يتأت من الضخامة ولكن من الارتباط الروحي والنفسي بهذا المبنى ومن خلال الدور الذي يؤديه في المجتمع، وهو ما يتحقق في مبنى المسجد.

عمارة المسجد الاجتماعية بين الثوابت والمتغيرات

أما عن عمارة المسجد الدينية فمهما حدث من تطورات وتغيرات، فما زال المسجد يمثل في بنائه اللبنة الأولى لنشأة وازدهار الجماعة الإسلامية، وبيان ذلك واضح في مجتمعات الغرب، حيث يمثل المسجد للمجموعة الإسلامية التي تتواجد في أي مجتمع من هذه المجتمعات المأوى والملجأ، فهو الذي يربطهم بدينهم ويربطهم بمجتمعهم الإسلامي الكبير. ودور المسجد الفعال في نشر الدعوة في أي من المجتمعات الإسلامية هو دور مهم يجب التأكيد عليه وتعظيمه عن طريق تهيئة الجو المناسب والأدوات الفاعلة في تحقيق ذلك.

نأتي إلى دور المسجد كمؤسسة اجتماعية، ونحن نرى أن المسجد مازال قادرا على نشر دوره في المجتمع كما كان سابقا، وإن تنوعت الطرق وتعددت الأساليب نتيجة للمتغيرات المجتمعية المعاصرة، وهناك مسلمات لابد منها وهى مازالت مستمرة، فالمسجد كان ولا يزال محيطا للتعارف والأخوة بين المسلمين، وهو رمز للمساواة الاجتماعية، ومنبع لتحقيق الأمن والأمان الاجتماعى، وأنموذجا طيبا لمراعاة حقوق الجار، ومازال البعض يعقد النكاح في المسجد، يبقى فقط تفعيل هذا الدور من خلال التوعية والتثقيف.

أما عن دوره في مجال التعليم فإن المسجد يمكن أن يلعب المسجد دورا كبيرا في ذلك، وليس هذا معناه إلغاء المؤسسات التعليمية مثل الجامعات والمدارس العليا وثانويات التعليم العام والفني، والاستعاضة

عنها بالتعليم المساجدي وحده، وإنما المقصود هو نقل روح المسجد إلى هذه الأماكن، حتى تستطيع أداء رسالتها في التربية والتكوين والإعداد. لأبناء المسلمين على الوجه الأفضل[1]، فعلى سبيل المثال انتشرت في عصرنا الحالي ظاهرة الدروس الخاصة للطلاب - في مختلف المراحل التعليمية - وأولى بالمسجد أن ينشط إلى مساعدة الطلاب باستقطاب الأساتذة في كافة المراحل حتى الجامعية تيسيرا على الطلاب وجمعا لهم في مكان آمن، يستظهرون فيه دروسهم ويجدون فيه المرجع من الكتاب في المكتبة والأستاذ المتخصص[2]، وهذا المبدأ معمول به في بعض المساجد من خلال عمل الجمعيات الخيرية والأهلية. كذلك دوره في مجال الصحة، فليست الدعوة إلى تفعيل دور المسجد في هذا المجال إلغاء المستشفيات الحالية، ولكن يمكن للمسجد أن يساهم بدور فعال من خلال تكامل العمل الطبي مع تعاليم الدين الإسلامي، فالطبيب المسلم الذي تلقى علومه الطبية وربطها بالدين الإسلامي سيدرك أن مهنة الطب هي مهنة إنسانية في المقام الأول، كما سينعكس السلوك الإسلامي على تعامله مع المرضى، كذلك يمكن للمسجد أن يقوم بدور آخر في نشر الوعي الصحي النابع من الوعي الديني، فهنا يبعث في الناس الثقة على تطبيق التعليمات والالتزام بها لأنها ستكون نابعة من الدين ويكون الرقيب الوحيد هو الله جل علاه.

وبالنسبة للمسجد كمؤسسة ثقافية فيلزم التأكيد على هذا الدور الفعال، في عصر تداخلت فيه الثقافات وألغيت فيه الحدود، بحيث تكون لنا هويتنا الثقافية النابعة من ديننا الإسلامي، والتأكيد على أنها دعامة مهمة من دعامات الحفاظ على كيان المجتمع. ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال الاهتمام بالمكتبات في المساجد، وعقد اللقاءات الدينية وإلقاء الدروس، مع تهيئة المناخ المناسب اجتماعيا وسياسيا من أجل تحقيق ذلك.

[1] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص١٩
[2] جاد الحق على جاد الحق، مرجع سابق. ص٢٢

أما بالنسبة المسجد كمؤسسة اقتصادية، فإنـــه وإن كـــانت هـــذه الأنشـــطة قد انفصلت عن المسجد في هذا العصر، فلا مانع أيضـــا مـــن السـعي نحـــو تحقيق التفاعل بين المسجد وهذه المؤسسات لكي نتمكن مـــن القيـــام بدورهـــا على أكمل وجـــه.

وفى إطار ما كان عليه المســـجد مـــن علاقـــة بالسياســـية فـــي المـــدن الإسلامية، فإنه وإن كانت أيضا هذه المؤسسات قـــد انفصلـــت عـــن المســـجد في كيانات مستقلة، فليـــس معنـــى هـــذا أن يكـــون هـــذا الانفصـــال مـــادي وروحي، فإذا كانت، قد توفرت لهذه الأنشـــطة أمـــاكن أخـــرى، فيلـــزم إبقـــاء التكامل الروحي، بحيث تستمد هذه المؤسسات دورهـــا الفعـــال فـــي المجتمـــع من منطلق المسجد في إطار قيم ومبادئ وتعـــاليم ديننـــا الحنيـــف.

المبحث الثاني: عمارة المسجد في عصر العولمة والمعلوماتية

تميز القرن العشرين بأنه قرن العلم والتكنولوجيـــا، وخطـــى العلـــم فـــى الحقبة الأخيرة منه خطوات كبيرة في اتجاه مـــا يســـمى بثـــورة المعلومـــات، وهو ما يتوقع له الاستمرار بشكل متعاظم فـــي القـــرن الحـــادي والعشـــرين، ومن أهم مـــا أفـــرزه هـــذا التطـــور، ذلـــك التطـــور الكبـــير فـــي الثـــورة المعلوماتية والتـــي تمثلـــت فـــي شـــبكة المعلومـــات (الإنـــترنت) وتطـــور الوسائل السمعية والبصرية التفاعلية، والذي يعني في مجملـــه مـــا يمكـــن أن نسميه "الحياة الإلكترونية"[1]، أو بالشكل الـــذي يقـــول عنـــه فرانـــك كيلـــش: "إن عصر المفاخر والإنجازات التي يولع مؤلفـــو روايـــات الخيـــال العلمـــي بالكتابة عنه قد أصبح وشـــيكا للغايـــة بـــالفعل .. إن عـــالم الخيـــال العلمـــي يتحول على أيدينا إلى دنيا الواقع العلمـــي بســـرعة مذهلـــة .. إن مـــا يبـــدو

[1] نوبي محمد حسن، "العمارة المعلوماتيـــة: رؤيـــة لإشـــكالية الإبـــداع المعمـــاري فـــي القرن الحادي والعشرين"، المؤتمر المعماري الدولـــي الرابـــع (العمـــارة والعمـــران علـــى مشارف الألفية الثالثة)، قسم العمارة، كلية الهندســـة، جامعـــة أســـيوط، أسيوط، ٢٨-٣٠ مـــارس ٢٠٠٠م. ص٤

اليوم مستحيلا، سيكون خلال العقد القادم من الأمور الشائعة والعادية في حياتنا .. إن ما نعتقد الناس أنه مازال بعيدا عنا في غياهب المستقبل، إنما ينتظرنا في ركن ما حولنا .. إن معدل التغيير المتسارع الموجود بالفعل سيتخذ أبعادا مذهلة، وتطوير التكنولوجيا والمنتجات والخدمات ستتم بسرعات باهرة مما سيغير اقتصادنا ومجتمعنا بشكل جذري ويقلب حياتنا الشخصية رأسا على عقب"[1].

إنه وفي الوقت الذي يتجه فيه العالم نحو ما يسمى "القرية الكونية" حيث تذوب الفوارق الثقافية والاجتماعية – وتبقى الطبقية الاجتماعية بسبب السيطرة الاقتصادية – يبقى علينا وفي مجتمعاتنا الإسلامية تحد على درجة عالية من الخطورة، فما الدور الذي يمكن أن يلعبه المسجد في الوقت الذي بدأ فيه العالم التحول نحو العصر الجديد، وهو العصر المعلوماتي؟

ان الدور الذي يمكن أن يلعبه المسجد هنا ليس غريبا عليه كمؤسسة دينية اجتماعية وثقافية وسياسية فاعلة، بل إن غاية المساجد تدعو إلى العالمية في نشر الدين الإسلامي. لكن الفارق بين العولمة الإسلامية والعولمة المعاصرة أن العولمة الإسلامية، قد حملت بين دفتيها: الحكومة الشرعية + الاقتصاد + القوانين المالية + الوحدة بكل أبعادها + الأحكام القانونية + القواعد الأخلاقية[2].

والمسجد في عصر العولمة يمكن أن يقدم ما يلي:

١- **الدعوة الإسلامية من خلال شبكة المعلومات:** عن طريق وضع الخطب والفتاوى على الإنترنت. فالإسلام دين للناس أجمع، يقول

---

[1] فرانك كيلش، ترجمة حسام الدين زكريا، "ثورة الإنفوميديا: الوسائط المعلوماتية وكيف ستغير عالمنا وحياتك؟"، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٥٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠م. ص١٢،١٩،٣٢٩،٤٢٣

[2] علاء الدين الفادحي، "بين العولمتين"، مجلة النبأ، العدد ٤٤، المستقبل للثقافة والإعلام، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

تعالى: "**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**"[1]. ومن الايات الدالة على عالمية الإسلام ودور المسجد في ذلك قول الحق تبارك وتعالى: "**إن أول بيت وضع للناس للذى ببكه مباركا وهدى للعالمين**"[2]. ويشرح "روجيه جارودي" عولمة الإسلام قائلا: "وليس أدل على عالمية الإسلام من نزوله على نبيه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) في مكة التي ثبت علميا أنها سرة الأرض ومركز التقاء الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب وعلى السرعة التي انتشر وينتشر بها فقد وصل إلى الصين والهند، وغطى ما بينهما من بلاد، ثم اندفع حتى إفريقيا وأوربا، ومنهما اتجه إلى أقصى بقاع الأرض في هدوء وسلم وسلام"[3]. ومن هنا يمكن أن يستثمر التواصل السريع وإلى كل أنحاء العالم – من خلال شبكة المعلومات – في نشر مبادئ الدين الإسلامي. وما أكثر المواقع الإسلامية حاليا التي تقوم بهذا الدور، وبربط هذه المواقع بالمسجد يمكن تفعيل وظيفتها وجعلها أكثر نشاطا وأمضى تأثيرا.

٢- **التواصل السريع والفعال:** إتاحة الفرصة لقراءة الخطبة والدروس التي تلقى في المساجد التي لم يصل فيها الإنسان، بل والتي قد لا يتمكن من الصلاة فيها أصلا بسبب وقوعها في مناطق ودول أخرى. فبإمكان الإنسان المسلم وهو في مدينته أن يقرأ أو يستمع إلى الخطبة التي ألقيت في أي مسجد في العالم عقب صلاة الجمعة بسهولة ويسر، بل لمجرد أن تنقر على زر الدخول في أحد المواقع التي يمكن أن تعد من أجل ذلك. ويجب الإشارة إلى أن هذه الدعوة ليست بالشيء الجديد فبالفعل يوجد حاليا على شبكة المعلومات مواقع توجد عليها خطب

[1] سورة الأنبياء: ١٠٧

[2] سورة آل عمران: ٩٦

[3] أحمد البغدادي، "إرهاصات الغزو الثقافي وضرورة تأصيل الذات"، مجلة النبأ، العدد ٥٦، المستقبل للثقافة والإعلام، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

الجمعة التي ألقيت في بعض المساجد، ويتمكن زائر الموقع من قراءتها أو سماعها في أي وقت ومن أي مكان.

٣- **تحقيق الوحدة .. لا الاختلاف:** فنظرا لسهولة الاتصال والتواصل من خلال شبكة المعلومات بين مختلف الفئات والاتجاهات، فيمكن أن تلعب المساجد دورا في فتح وإدارة حوارات فعالة، وتقريب وجهات النظر في مختلف القضايا الدينية والدنيوية، وبذلك يتحقق للمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية الوحدة الغائبة التي هي أساس هذه الأمة.

٤- **تحقيق الالتقاء والتواصل الاجتماعي:** فإن كانت الأنشطة الاجتماعية مثل العمل التعليم والتسوق والترفيه وغيرها سيتمكن الإنسان من الحصول عليها بينما هو في المنزل من خلال شبكة المعلومات، وهو ما يسمى "العمل عن بعد"، و"التعلم عن بعد" و"التسوق المنزلي" و"الترفيه الافتراضي" .. وغير ذلك، وهو ما أصبح الآن حقيقة واقعة، بل نقوم نحن أو غيرنا في مناطق أخرى ببعض هذه الأنشطة الإلكترونية حاليا، وإن كانت مازالت محدودة الانتشار بسبب ارتفاع تكلفتها. ولكن عمارة المسجد المعنوية والاجتماعية ستبقى بلا تغير، فمهما حدث وتمكن الإنسان من عدم الذهاب للسوق أو مكان العمل أو مكان التعليم أو أماكن الترفيه والتي تمثل الملتقى الاجتماعي، فلن يأتي اليوم الذي لا يذهب فيه إلى المسجد لعمارته معنويا واجتماعيا، والتي من خلالها سيكون الملتقى الاجتماعي مع باقي أفراد المجتمع وتستمر عمارة المسجد المعنوية والاجتماعية في أداء دورها في مجتمعات يتوقع لها مزيدا من التفكك الأسرى والاجتماعي.

٥- **الثقافة الإسلامية:** إن المادة الإعلامية والثقافية الغربية لا تجد الآن صعوبة للوصول إلى عقل المتلقي في العالم الإسلامي، وقد بدأت بالفعل في صياغة الأذواق والاهتمامات والأهداف، فنحن أمام عولمة في طريقها للتوسع والتغلغل والانتشار، ولا أحد يعرف إلى أين ستصل، وما

هو الحجم الحقيقي الذي ستأخذه تداعياتها السلبية على الهوية الحضارية للأمة العربية والإسلامية. كما أن الثقافة الغربية امتلكت الان الوسائل والأدوات القادرة على الوصول إلى عقل الإنسان المسلم بشكل دائم ومستمر، وقد امتزجت وتداخلت مع عدد كبير من المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية، لذلك فقدرتها على التأثير أصبحت مضاعفة و غير محدودة. وأمام الإخفاقات التي تعاني منها مجالات الثقافة والاقتصاد داخل المجتمع الإسلامي، فإن أرضية التأثير والاستيعاب أصبحت مهيأة أكثر لاستقبال موجات الثقافة الغربية[1]. ومن هنا فيمكن أن يلعب المسجد دورا في دعم الثقافة الدينية لدى أفراد المجتمع، وينمي لديهم حس التقييم والرفض للثقافة الواردة من خلال معايير ذاتية تستمد أصولها ومرجعيتها من الدين الإسلامي.

٦- **التكامل مع المؤسسات الأخرى:** يمكن للمسجد في هذا العصر التواصل بشكل سريع وفعال مع المؤسسات الأخرى في المجتمع؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي وإن وضعت في مبان مستقلة ماديا، فإنه يمكن بالتطور في تقنيات المعلومات ربطها بوسائل من خلال منظومة معرفية متكاملة، مما يساعد في التوصل إلى صيغ مناسبة لتحقيق التكامل الاجتماعي المنشود على مستوى مجتمع الدولة الواحدة، ليس هذا فحسب ولكن على مستوى الأمة الإسلامية جميعها، أملا في تحقيق كيان اجتماعي واقتصادي وسياسي إسلامي يواجه التحديات العالمية ويبعث في المجتمع القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية، وينتج قاعدة اقتصادية تحافظ على كيان الفرد من خلال المجموعة.

٧- **إدارة المسجد:** يمكن باستخدام شبكة المعلومات وتيسير الاتصال عن طريقها، ربط مختلف المساجد بالمؤسسات الدينية الفعالة في المجتمع مثل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، وهذا من دوره أن

[1] حبيب آل جميع، "العولمة في المجال الثقافي - وجهة نظر نقدية"، مجلة النبأ، العدد ٣٨، المستقبل للثقافة والإعلام، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

يحقق إدارة ناجحة للمسجد، ويعمل علـــى نشـــر الدعـــوة مـــن خلالـــه وفـــى إطار عام يحكم رسالة كل المساجد على مختلف الدولة، وتنبـــــع مبادئـــه مـــن قواعد الديـــن الإســـلامى. وحديـــر هنـــا أن نشـــير إلـــى تجربـــة المجلـــس الإسلامي في سنغافورة، والذي أوجـــد أســـلوبا مـــن خـــلال الكمبيوتـــر فـــي عمل إدارة متكاملة للمساجد البـــالغ عددهـــا ســـبعون مســـجدا عـــن طريـــق ربطها مع بعضها، مما حقق كفاءة في إدارة المسجد وفـــي القيـــام برســـالته.

الخاتمة

وبعد أن وصلنا إلى نهاية هذه الرحلة القصيرة في عمارة المساجد، يجدر بنا أن نتلمس فى هذه اللحظة ثمار هذه الرحلة. وهذا يلزمنا أن نعود من حيث بدأنا، فلقد طرحنا في بداية هذا البحث مجموعة من الأسئلة، وبعد استعراض الجوانب المختلفة لعمارة المسجد المعنوية والبنائية والاجتماعية، يجدر بنا مناقشة إلى مدى أوضح البحث الإجابة على تلك الأسئلة.

الإجابة على السؤال الأول: هل عمارة المسجد تقتصر على الجوانب البنائية فقط؟ أم أن لها جوانب أخرى معنوية واجتماعية؟

إن عمارة المسجد ليست كعمارة أي مبنى آخر، فهي منظومة متكاملة معنوياً وبنائياً واجتماعياً، نبعت من كون المساجد بيوت الله في الأرض، فهي عمارة شاملة لجميع ما يرتبط بالإنسان كفرد وبالأسرة والمجتمع والأمة الإسلامية في نهاية الأمر. وقد تأكدت الجوانب المختلفة لعمارة المسجد منذ أن أسس الرسول (صلى الله عليه وسلم) مسجده في المدينة، فكان المسجد قلب الأمة الإسلامية، فيه اللقاء مع المولى عز وجل ليس من خلال الصلاة فقط؛ ولكن من خلال أنشطة أخرى يقوم بها المؤمن طاعة لله وابتغاءً لمرضاته. وقد مثل مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأنموذج الأمثل الذي احتذت به عمارة المساجد بجوانبها المختلفة في عصورها المتعاقبة. هذا وإن تقلصت في العصر الحالي بعض جوانب عمارة المسجد وخصوصاً الاجتماعية، فإن المسجد لازال يمتلك القدرة على التفاعل مع جميع المؤسسات الاجتماعية، انطلاقاً من قدرته على القيام بهذا الدور الفعال.

الإجابة على السؤال الثاني: هل تخضع عمارة المساجد للفكر الإبداعي المعماري المنطلق إلى حدود غير معروفة وغير مدركة وغير

متحكم فيها، أما أنها تخضع لضوابط وقيـود محـددة؟ ومـا هـي مصـادر هذه القيود؟ وما مدى الالتزام بـها؟

ولقد اتضح مما سبق دراسـته أن عمـارة المسـجد المعنويـة والبنائيـة والاجتماعية ترتبط في أغلـب جوانبـها بضوابـط مسـتمدة أصولـها مـن الشريعة الإسلامية، ومع التطـورات التـي حدثـت فـي العصـر الحديـث، أصبح لزاما النظـر إلـى عمـارة المسـجد مـن خـلال قضيتـي الثوابـت والمتغيرات، فما فيه نـص فقـهي صريـح وواضـح فـي أي جـانب مـن جوانب عمارة المسجد يتحتم الأمر الالتزام به. ومـا هـو مـتروك للتغـيرات والتطورات فلا مانع طالمـا أنـه لا يتعـارض مـع نـص، أو مـع مبـادئ أخرى ينهى عنها الدين الإسلامي، ولقـد ضـرب لنـا الرسـول (صلـى الله عليه وسلم) المثال المحتذى به في ذلك، عندما أقر مـا فعلـه الصحابـة مـن فرش المسجد بالحصا أو إضاءتـه بالقنـاديل.

الإجابة على السؤال الثالث: مـاذا عـن دور المسـجد ومـا يمكـن أن يقدمه من خلال المجتمـع فـي مواجهـة التحديـات التـي تواجـه الأمـة الإسلامية في عصر العولمة وثورة المعلومـات والوسـائط التفاعليـة؟

ومن أجل عودة عمارة المسجد إلـى مـا كـانت عليـه معنويـا وبنائيـا واجتماعيا، وفي إطار التحديات التي تواجـه الأمـة الإسـلامية فـي عصـر العولمة وثورة المعلومات، فإن المسجد مـن المؤسسـات الإسـلامية الفاعلـة التي يمكن أن تلعب دوراً مهما فـي مواجهـة هـذه التحديـات علـى جميـع المسـتويات الحضاريـة والثقافـة والاجتماعيـة والإنسـانية والاقتصاديـة والسياسية، إذا ما عادت له نفس الروح ونفـس الوظيفـة، وإذا مـا توافقـت عمارته الروحية والبنائية والاجتماعية مع الضوابـط الشـرعية التـي تنبـع من ديننا الحنيـف.

واخيراً:

فقد تبين لنا من هذا الجهد المتواضع كيف اهتم الإسلام والمسلمون بعمارة المسجد المعنوية والبنائية والاجتماعية، ولأنه وإن كان المسجد يمثل اللبنة الأولى في بناء الجماعة الإسلامية، فإن تواصل دوره يعمل على بقاء هذه الجماعة ويساعدها على مواجهة التحديات، ويضمن لها حياة كريمة، تؤدى المقصود منها في العبور السليم إلى الدار الآخرة، لأنه في صلاح المسجد صلاح للأمة وفي الأخرى ما لا تحمد عقباه. فهل نحن مدركون؟

وفى النهاية، أسأل الله تبارك وتعالى أن تعود للمسجد مكانته العظيمة في المجتمع المسلم، ويعود له دوره الرائد والفعال في بناء الشخصية المسلمة للفرد والأسرة والمجتمع والأمة، كما أسأله جل وعَلا أن يُعَظِم مكانة المسجد في قلوب الأمة الإسلامية، ويربط أرواحها به لترتبط به قلوب وعقول المسلمين من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية الغائبة.

إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله